

جواهر الإسلام

العدد 2/1 - السنة 25
ربيع الثاني 1448 هـ / أكتوبر 2026 م

الثمن 5 د.ت - 5 أورو



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000
الهاتف	216.71.327.130
الفاكس	216.71.423.233
البريد الإلكتروني الموقع الإلكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	010000211110000238106
ISSN	4957-0330

الاشترار للأفراد	الاشترار بتونس	الاشترار للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الجبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1448 هـ / 2026 م

الفهرس

- سيرة وشمائل رسول الله ﷺ بأقلام أعلام الزيتونة وثلة من أشقائهم علماء الأمة في
عدد خاص من جواهر الإسلام 6
رئيس التحرير
- تفسير آيات من القرآن الكريم 8
بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- الرحمة الكاملة التي أفاضها الله ببعثته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم 12
بقلم سماحة الشيخ الإمام الطاهر ابن عاتور - رحمه الله
- كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الإسلام 21
بقلم : الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاتور رحمه الله
- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف «احتفاء وتذكير» 28
بقلم فضيلة الشيخ : محمد الساذلي النيفر رحمه الله
- ميلاد سيدنا محمد ﷺ تجديد للعهد وصقل للباطن وعمل دائب لإنقاذ البشرية ... 36
بقلم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- قد تربعت في القلوب مقاما لم ينل بعضه عظيم الرجال 38
شعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- احتفلوا بالحبيب المصطفى ﷺ 40
جمع وترتيب: أ. جمعة العكرمي الدويش
- الإحتفال بالمولد النبوي أمر مستحسن 42
بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن المحفوظ بن بية
- في كل مولد تشتعل بداخلي أمنية ما فارقتني حيناً إلا لتعود أحيانا بقوة العاصفة.... 45
احمد شوقي
- المولد النبوي في الغرب الإسلامي: اجتهاد سبتي لا صدى فاطمي 46
بقلم : الدكتور محبوب ولد بوية
- ما أشد حاجة عالم اليوم إلى هدي محمد ﷺ لإنقاذه مما غرق فيه 47
بقلم : فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر

- رسالة إلى دعائنا الأحاب في قارتنا الحبيبة 51
بقلم : أ.د. قطب مصطفى سانو
- كتاب استنزال اللطائف الرضوانية 55
بقلم : عبد الزهادي النجار الساذلي والأستاذ : آرش أبو ترابي همداني
قراءة في ديوان (المديح النبوي)
- الشاعر الليبي الأستاذ الشيخ عبد السلام خليل
- الإمام البوصيري: مادح الرسول ﷺ صاحب البردة والهمزية 68
بقلم الأستاذ محمد العجيلي
- المصدقية التاريخية والمقام المحمود: إشراقة النبوة الخاتمة في ذكرى المولد النبوي 73
بقلم : الدكتور / طارق بن ساسي
- الشمائل النبوية و«مرآة الوصول في شمائل الرسول ﷺ» 76
بقلم : الشيخ محمد بن سيد أحمد صلاحي
- خطبة الجمعة : شهادات انصاف من الأقارب والاباعد فيما كان عليه رسول الله ﷺ من
- خلق كريم وادب رفيع 85
خطبة الجمعة القاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي
- كلمات في الدين 90
بقلم الأستاذ : ابراهيم الرو - ليبيا
- أهمية التراجم قديماً وحديثاً والغاية مِنْهَا 92
بقلم : الشيخ صالح العود
- في رياض السنة الاربعون النووية : الحديث السابع والثلاثون سعة كرم الله 94
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
- متابعات وقرارات 100
- من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين 105
بقلم الشيخ : محمد الحبيب النفطي رحمه الله
- الرسول خط أحمر وفوق الديموقراطية 107
بقلم صالح الصاجة

الافتتاحية

سيرة وشمائل رسول الله ﷺ

بأقلام أعلام الزيتونة وثلة من أشقائهم علماء الأمة في عدد خاص من جواهر الاسلام

بعون الله وتوفيقه هاهي مجلة جواهر الإسلام تدخل سنتها الجديدة بعددها (1/2) من المجلد الخامس والعشرين المقترن صدوره بشهري الربيعين من العام الهجري 1448 .
ولجواهر الإسلام بهذين الشهرين تعلق يشدها الى من هل على هذا العالم بمولده سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الثاني عشر من سنة 570 للميلاد مؤذنا بعثة من ارسله الله رحمة مهداة للناس اجمعين ورؤوفا رحيمًا بالمؤمنين جاءهم بدين الإسلام الذي ختمت به الرسالات السماوية واكملة الله واتم به النعمة ورضيه لعباده دينًا.

لم تغب هذه الذكرى المجيدة التي ظلت تستهدي بها جواهر الاسلام طيلة مسيرة عمرها المديد منذ تأسيسها سنة 1968 على يدي صاحب فكرة إصدارها والمبادر إليها فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله واجزل مثوبته وجعل هذا العمل صدقة جارية وعلمًا ينتفع به ووقفنا الله لنكون ولدا صالحا يدعوه له وهي الأبواب الثلاثة التي يلحق اجرها بمن يرحل الى دار البقاء كما ورد في الحديث.

لقد اردنا ان يكون هذا العدد من جواهر الإسلام عددا خاصا متميزا ووثيقة تتضمن ما خطته أقلام (اعلام الزيتونة الابرار وثلة من اشقائهم من اعلام الامة) في سيرة وشمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في الدين الذي جاء به من هدي فيه صلاح وفلاح المسلمين (افرادا ومجتمعات) في عاجل حياتهم الدنيا واخرتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك القدوة والاسوة في اتباعه التجسيم والتصديق لمحبة الله (قل ان كنتم تحبون فاتبعوني يحبيكم الله) وهو اتباع لا ينبغي ان يقتصر على كيفية أداء الشعاير بل لا بد ان يكون هذاالاتباع له في اخلاقه ومعاملاته و التي كان فيها مضرب المثل في الخلق العظيم بشهادة ربه الذي ادبه فاحسن تاديبه وقال في حقه (وانك لعلی خلق عظیم) وفي الحديث الشريف (انها بعثت لا تمم مكارم الا خلاق) وكان ذلك دليلا على مشروعية ما صاغه العلماء والشعراء قديما وحديثا من كتب ودواوين لا يحصى عددها في نشر محامد وفضايل ومكارم اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الدافع الى ما صاغوه هو حبهم لرسول الله عليه وسلم الذي ملك عليهم قلوبهم وكيف لا وفي الحديث الشريف (لا يكون احدكم مؤمنا حتى أكون احب إليه من ماله وولده ووالديه ونفسه التي بين جنبيه) وللا يمان حلاوة وفي الحديث (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون ورسوله احب إليه مما سواهما..).

والا زمة التي عاشتها وتعيشها البشرية منذ فجر التاريخ ويعيشها معها (المسلمون بسبب ابتعادهم عن هدي دينهم) هي بالدرجة الأولى ازمة أخلاقية التي هي سبب كل الازمات الاخرى فلا غنى للانسان مهما تقدم في مجالات الحياة المادية والعلمية والافتراضية (وهي الخطر الداهم الذي يهدد الجميع في هذا الزمان) عن هدي السماء الذي كان فيه الرسل الله والانبياء عليهم السلام الاسوة و القدوة وكان سيدنا محمد بن عبدالله عليه صلى الله عليه وسلم تاج رؤوسهم.

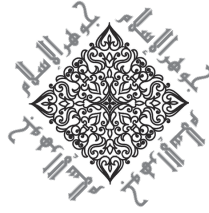
اردنا بهذا العدد الخاص من مجلة جوهر الإسلام ان نضع بين ايدي قرايها مادة علمية ضافية باقلام اعلام لا يشق لهم غبار ولا يمكن ان يشكك احد في تحقيقهم وتدقيقهم وتحريرهم وتنويرهم تؤكد بان احياء ذكرى مولد رسول الله ﷺ لا تثريب على من يقوم به ولا انكار على من يقف عند هذه الذكرى للتدبر والاعتبار واستخلاص الدروس وما اكثرها وما احوج الجميع الى ذلك فيوم المولد هو يوم من أيام الله التي ورد الامر بالتذكير بها (وذكرهم بايام الله) و التذكير والمذاكرة بفضيلة ذلك اليوم الاغر الذي ولد فيه سيد البشر عليه الصلاة والسلام هو باب من أبواب الشكر لله على هذه المنة العظمى التي لا تساويها اية منة أخرى ولذلك اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استاذنه في صوم يوم الاثنين و قال له (صمه فذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه)..لا نستطيع عزيزي القارئ ان ناقي على ما يتضمنه هذا الخاص من مجلة جوهر الإسلام الذي اردناه خالصا لله وحباً في رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لنا من عمل نلقى به الله سوى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم املين ان نكون متشبهين بمن بشره عليه الصلاة والسلام بقوله (ابشر انت مع من أحببت) عندما ساله عن الساعة قال له وما اعددت لها قال السائل لم اعد لها كثير صلاة ولا كثير صوم ولكن اعددت لها حب الله ورسوله وتلك هي حالنا فليس لنا من عمل يذكر نلقى به ربنا سوى حب الله ورسوله فللهم اجعلنا من المحبين المحبوبين والمحبين في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا العدد الابواب القارة المعتادة (التفسير وشرح الحديث والفتاوى وخطبة الجمعة والمتابعات والقراءات مع القسم الفرنسي وهو أيضا من وحي المولد).

ومع هذا العدد الخاص من مجلة جوهر الاسلام هدية ثمينة هي تكملة له هي قصتين للمولداصدرتهما (مؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات والتكوين) سنة 2013 صاغهما علمان من اعلام الزيتونة وشيخان من شيوخها الجلتهما سماحة الشيخ الامام محمد الطاهر ابن عاشور وشيخ الإسلام إبراهيم الرياحي اجزل الله ثوبتهما واسكنهما فسيح جنانه .

والحمد لله أولا وآخرا وهو المستعان والمرجو في قبول الاعمال.

رئيس التحرير

محمد صالح الدين المستاوي



تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُوِ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (26) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (27) سورة الشورى . صدق الله العظيم

ختمت الآيات السابقة بالمقارنة بين حالة من يريد حرث الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا وبين من يريد حرث الدنيا فقط ولا يلتفت الى الآخرة بتاتا.

والمؤمنون هم الذين يختارون الحرث الاول لأنه يضمن المعنيين ويحقق السعادتين اما المشركون فهم اصحاب الحرث الثاني ولا نصيب لهم في الآخرة وما اوصلهم الى هذه الخسارة الا امعانهم في الجحود وانصياعهم الى وساوس انفسهم ووساوس شياطين الانس والجن الذين زينوا لهم الشرك والفجور والالحاد وشرعوا لهم شريعة لم يأذن بها الله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ﴾ اجل ان الله يمهل ولا

يهمل انه قد وعد بالارجاء والتأخير الى يوم الجزاء الاكبر... ولولا ذلك الوعد لنزل بكل ظالم ما يستحقه ولحلت بأعداء الرحمان عقوبتهم التي لا تبقي ولا تذر ولكن كل ات قريب فلن يفلت من قبضة الله من تطاول على احكامه وظلم المستضعفين من خلقه ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ونظرا لتحقيق هذا العذاب ولقرب موعده عند الله لان اليوم عنده كالف سنة عندنا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ونظرا لتحقيقه وقربه جعله سبحانه وتعالى كالمشاهد قال (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم) وماذا يجديهم خوفهم وندمهم بعد فوات الاوان وانقضاء العمر بالموت فعذابهم الذي استحقوه بأعمالهم وذنوبهم لا بد ان ينزل بهم لانهم خرجوا من الدنيا ملطخين بالاثام وحقوق الناس والكفر والجحود ولم يقلعوا عن شيء من ذلك الى ان أفلعت بهم سفينة العمر اما المؤمنون الصادقون العاملون فلنستمع الى ما اعد الله لهم من خير ونعيم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ لله ما اعدل احكام القرآن وكم فيه من دقة وتحقيق وتمحيص انه لم يجعل شرط التحصيل على هذا النعيم الخالد مجرد الايمان فقط بل قرنه بشرط آخر لا بد منه وقل ان يفارقه في موطن من المواطن الا وهو العمل الصالح ايدانا بان ربنا سبحانه وتعالى لا يرضى منا ابدا بالسلبية ولو في الايمان الذي هو اعظم شيء في ما خلق الله لان السلبية جمود وشلل وموت وذلك لا يحقق شيئا في الوجود الذي هو حركة وعمل واصلاح.

وفي هذه الآيات التي أوردناها اقترن الايمان بالعمل الصالح ثلاث مرات مبالغة في التوصية والتأكيد حتى لا يغتر مؤمن بإيمانه فيخلد الى الراحة والمتعة ويطمح ان تتاح له فرص الدخول الى روضات الجنات التي يجد فيها جميع ما تشاق اليه نفسه ويحرز فيها على الفوز الاكبر والسعادة الحق...

ولزيادة التشويق يقول جل من قائل ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فكانه يقول من اراد النعيم واشتاق اليه فليبادر لاقتناصه واحرازه ثم يامر نبيه بان يبين للناس بكل وضوح انه لا يهدف من وراء التبليغ والانذار الا غاية واحدة وهي غاية انسانية نبيلة اذا تحققت فهي كل المؤمل ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ذلك هو الاجر الوحيد انتشار الود والمحبة والمصافاة بين

ذوي الرحم وبين اهل القربات ومن تربط بينهم اواصر الاخوة الدموية والجنسية والعقائدية ثم يقول ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ حقا انه المتفضل الاوحد فهو الذي يجازي بالخير او زيادة لان ما عنده لا يضمحل ولا يفنى (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) وانه سبحانه وتعالى تفرد وحده بالعفو والصفح والحلم ويشكر من يستحق الشكر فلا يحقد على احد ولا يغمط حق احد (ان الله غفور شكور) وينتقل سياق الايات الى معالجة ظاهرة بشرية توجد عند كافة خلق الله وهي امتعاض النفوس البشرية من المعارضة الجاحدة المتعنتة تلك المعارضة التي لا تعتمد على اساس من واقع او منطق انما هي المكابرة والعناد والحسد فيقول سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ (ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ويمحق الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور)

ان قدرته سبحانه وتعالى على خلق المعجزات لا يعارض فيها من له ذرة من العقل وقليل من الايمان وانه ليستطيع ان يربط على قلوب دعاة الحق بالصبر والتجاوز وعدم المبالاة حتى تكون معارضة المعارضين ومكابرة المكابرين اشبه شيء بزققة العصافير ونقنقة الضفادع ثم يأذن الله سبحانه وتعالى بإزهاق الباطل واحقاق الحق بدون محاولة محاول ومقاومة مقاوم ولكن ذلك يسلب من المجاهدين لذة النصر وفضيلة الجهاد ودرجة الاستشهاد وهو اراد لهم ذلك لأنه عليم بما في صدورهم من خير وطهر.

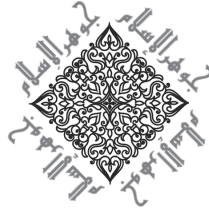
وما دام سبحانه وتعالى هو العليم بما في نفوس عباده فلا عجب ان يقول لهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ التوبة الصحيحة التي يقبلها الله سبحانه وتعالى هي تلك التوبة التي تصدر عن ندامة يشعر بها من اقترف المعصية تدفعه ندامته تلك الى الاقلاع بتاتا عن الاثام والذنوب وعدم اضمار العودة اليها والوقوع في افخاخها لان الله لا تخفى عليه خافية ولذلك قال ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال (الله اشد فرحا بتوبة عبده من احدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف ان يقتله فيه العطش) وأي مؤمن يشك في ذلك وهو يلامس حنان الله ورحمته والطافه اناء الليل واطراف النهار روى جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله ﷺ وقال (اللهم اني استغفرك واتوب اليك) وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي كرم

الله وجهه (ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين... وتوبتك تحتاج الى التوبة) قال يا امير المؤمنين ما التوبة فقال : التوبة اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب بالندامة، ولتضييع الفرائض الاعادة. ورد المظالم واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية واذابتها في الطاعة كما أذبتها في المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته...) هذه علامات التوبة النصوح التي تأتي على معاصي العباد فتزيل اثارها وتجعلهم كيوم ولدتهم امهاتهم اللهم الا ما كان من حقوق العباد فان ذلك يتعين جبره وقضاؤه اما ما كان بين العبد وربّه فلا خوف منه لان رب العالمين غني وكريم وعظيم ولكن كم هي الذنوب التي تخلو من حق شخصي او اجتماعي انها قليلة حتى تكاد لا توجد وعلى كل فالمولى سبحانه وتعالى اذا علم من عبده حسن النية وسلامة الطوية والرجوع والندم والعمل الصالح لا يعجزه انه يتكفل له بكل شيء وان يضمن عنه حقوق الاخرين مبالغة في اكرامه ومقابلة احسانه بإحسان اعظم وتجاوز اكرم.

وتتناول الآية الاخيرة تسليط الضوء الكاشف عن حقيقة نفسية بشرية تكاد تشمل كل آدمي الا من عصم ربك وهي مسألة التغير بالنعيم فيقول جل جلاله ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

اجل انه لخبير وانه لبصير وان علمه بما يكون لا ينقص عن علمه بما كان وبما هو كائن وما دام الامر كذلك فان مصلحة كل انسان في ما قسم له... وما نراه مصيبة هو في حقيقة الامر نعمة لان الخير في ما اختاره الله، ولو اطلعت على الغيب لاخترتم الواقع، ولتحقيق هذا التوازن الذي به ينتظم عمران الكون قسمت الارزاق على مقتضى الهندسة الالهية الحكيمة، ولو تحقق البسط لعموم الناس لانتشر البغي والفساد في الارض فاراد الحكيم العليم ان ينزل بقدر ما يشاء لانه هو الخبير البصير بطوايا عباده

وقد ورد في الحديث القدسي (ان من عبادي من لا يصلحه الا الغني ولو افقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه) فحاجة الفقراء الى الاغنياء تدعوهم الى التعاون معهم وحاجة الاغنياء الى الفقراء تفرض عليهم احترامهم والاحسان اليهم وبذلك ينتظم عمران وتستقر الأوضاع قال قتادة رضي الله عنه كان يقال (خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك) وبالمفهوم الضمني يكون شره ما اطفى والهوى وقانا الله واياكم من شر ذلك .



الرحمة الكاملة التي أفاضها الله ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم سماحة الشيخ الإمام الطاهر ابن عاشور - رحمه الله

قضت الحكمة الإلهية أن الواردات الدنية التي يريد الله إيصالها إلى الموجودين من خلقه، إنما ترد إليهم بالكيفيات والأشكال التي ألفتها مداركهم ليطيعوها تلقياً والاستفادة منها؛ لأن الاستفادة القابل من المبدأ تتوقف على المناسبة بينهما. لذلك كانت المجردات الملكية تتمثل في الأشكال الجسمانية عندما تظهر للرسول والأنبياء، كما ورد في تمثيلهم لإبراهيم وللوط عليهما السلام في صورة الضيف، وتمثل ملك الموت لموسى عليه السلام في صورة رجل، وتمثل الملائكة لداود عليه السلام في صورة الخصمين.

ولذلك لما أراد الله تعالى إرسال روح منه إلى الناس كافة بالشرعية العظيمة العامة المهيمنة على ما سبقها، والقائل في شأنها: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] فطر الحقيقة المحمدية نوراً خالصاً من الكدرات، وجعله منتقلاً في الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة بتدبير إلهي لا يعلمه إلا الذي قدر اصطفاؤه في الأزل، إلى أن سواه بشراً فأظهره مولوداً مباركاً.

فكانت تبدو عليه في أطواره كلها دلائل المخالفة والارتفاع على معتاد الأطفال ثم الصبيان ثم الفتيان، كما شهدت بذلك الآثار الصحيحة الموثقة في كتب السنة والسيرة البالغ مجموعها مبلغ التواتر المعنوي المفيد القطع بنتائج استقرائه، بحيث نحن في غنية عن جلبها، إذ ليس هو الغرض من مقالنا هذا وإنما أردنا أن نؤسس له ما نبني عليه جدر غرضنا الذي هو ذكر انتهائه ﷺ إلى طور بلوغ الأشد فإن وقت انبثاق

ذلك النور الذي أودعت فيه نفسه الزكية إذ أوحى إليه الروح العظيم من أمر الله، كما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾

[الشورى: 27، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فلا جرم أن ذلك الروح الذي أوحى إليه هو روح الرحمة للعالمين. إن لله تعالى الصفة الكبرى، وهي صفة الرحمة بخلقه، فله إرادة الرحمة بخلقه، كما قال:

﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا 14﴾ [الإسراء: 66]. والرحمة اسم لانفعال نفساني يحصل لمن يعلم حاجة مخلوق ذي إدراك على الإسعاف بما ينفعه أو إلى إزالة ما يضره فينشأ عن ذلك الانفعال أثر، وهو إرادة صاحبه إيقاع ذلك الإسعاف أو تلك الإزالة بقدر الإمكان مع الحذر من إفشاء ذلك الإسعاف إلى حاجة أشد من التي رحم لأجلها.

والرحمة إذا وُصف بها الله تعالى فإنما تُحمَل على أثر ذلك الانفعال؛ لاستحالة الانفعالات على الله تعالى، ولضيق اللغة عن الوفاء بصفات الله بالكنه. وقد دلنا على سعة تلك الصفة - أي سعة متعلقاتها بأن وصف نفسه العلية بوصفين مشتقين من مادتها جامعاً بينهما - قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 2]. (3) وقد تعلقت رحمته بهم تعلقين:

1 - تعلقاً مودعاً في أصل التكوين، إذ جعل خلقهم على نظام ملائم لتكوينهم وبقاء أنواعهم واقتدارهم على دفع المهلكات والغوائل على حسب مقدار ما يقتضيه كل نوع لحفظه من أضداده المخالطة له غالباً. وهذه رحمة مودعة في أصل تكوين عالمهم ومظاهره الطبيعية، وفيما أوجده حولهم من القوى الطبيعية والموجودات الحيوانية والنباتية والمعدنية، وفي تكوينهم وسط ذلك تكويناً يمكنهم من الانتفاع بآثار هذه الرحمة بما ألهمهم وأودع فيهم من الإرادة عند دعاء ضرورتهم وحاجاتهم. وهذه الرحمة هي المسماة أيضاً باللفظ المشار إليها بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، وبقوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِعِمَّكُمْ 33﴾ [النازعات: 33].

ومظهر هذا التعلق من الرحمة يبدو على الإنسان وعلى العجماءات بقانون وناموس متحد الماهية، وإن كانت ماهيته متفاوتة في القوة بحسب تفاوت أصناف الحيوان في سعة الإلهام وتفاوت أفراد الصنف الواحد في أطوار نمائه الذاتي التابع للسن. وقد أفاض الله تلك القوى على مخلوقاته مقارنةً لفيض وجودهم ونمائهم،

ولم يبلغها إلى مخلوقاته تدريجاً في العصور. فإذا كان تدريج في آثاره، فذلك من اختلاف الحاجات إلى استعمال تلك القوى.

2 - وتعلقاً ثانياً خارجاً عن حدود التعلق الأول، وهو رحمتهم بحفظ نظامهم الاجتماعي من أن يدخل عليه ما يفضي إلى اختلاله واضطرابه، بحيث يتسرب الانخرام إلى النوع تسرباً خفياً لا يُستشعر معه وجوبُ مدافعتة. وذلك في أعمالهم التي أوكل التصرف فيها وتصريفها إلى كسبهم وقدرتهم، ووضع لهم منبع تصرفها، وهي العقول وسلامة أسباب الأعمال وآلاتها العقلية والجسمانية.

ولم يترك الله تعالى رحمته بهم في إقامة تدبير شؤونهم على نظام معصوم من الفساد والاضطراب، فأراد أن يوجه إليهم الإرشاد فيما لا تصل مداركهم إلى إدراك معموله أصلاً (مثل دقائق المصالح والمفاسد بالنسبة إلى البشر وكثير من الأشياء بالنسبة إلى العجماوات)، أو لا تبلغ مدى ما يفضي إليه من صلاح يلوح في صور مكروهة أو فساد يلوح في صورة محبوبة (وهذا بالنسبة إلى البشر خاصة)، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]، وما فيه كمال أحوالهم من مجتمعهم وتزكية نفوسهم تقريبا لهم بالمالأ الأعلى. وعظيم مظهر هذه الرحمة باد في أحوال الإنسان، وما ينال العجماوات منه فإنما هو بواسطة الإنسان.

وكانت إفاضة هذه الرحمة على الناس إفاضةً متدرجة بحسب ما اقتضته حكمة الله تعالى من رعي أحوالهم وقابليتهم الصلاح، فساق إليهم الهدى على ألسنة الرسل تأصيلاً وتفريعاً في أطوار عديدة من تاريخ البشرية والحضارة إلى أن بلغت حكمة التدبير الإلهي بهم طور الكمال، هنالك أفاض عليهم الرحمة الكاملة قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157].

فهي بنا أن نتعرف كيف وصلت هذه الرحمة الكاملة العامة بأنواعها ومظاهرها إلى الإنسان - سلطان هذا العالم - وكيف أبلغها الله إليهم ودلهم على أنه ساقها إليهم من عوالمه الدنية. لتبين غرضنا من مقالنا نجد أعظم ما يبين لنا ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 107 فترى أن ما سبق الشرائع رسالة محمد ولي كان هدياً ونوراً، وذلك فيه رحمة. إلا أن الله ادخر وصف محمد ﷺ وبعمومها العالمين لمغزى دقيق، حيث لم تبلغ الرحمة من قبله الغاية التي أراد الله تأخيرها. فنعلم أن المراد أن رسالته امتازت بكمال الرحمة وأنه منح صفة الرحيم فبلغ كمال

الرحمة البشرية، وذلك الكمال بوفرة الرحمة إلى الحد الأقصى المناسب الدال عليه التنكير في رحمة، وهو تنكير التعظيم بقرينة تخصيصه بالرسالة المحمدية أو لعمومها العالمين، كما دل عليه تعريف الاستغراق في العالمين فيستغرق كل العالمين على اختلاف الاحتمال في معنى العالمين في هذه الآية كما سيأتي.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ من عموم أحوال محمد ﷺ، فرحمة حال من ضمير المخاطب فهو وصف له. وكون الوصف بصيغة المصدر يفيد من المبالغة في كون الرحمة حالة متمكنة من خلقه ما يفيد حمل الاسم على اسم آخر من معنى الاتحاد بين مدلولي ذينك الاسمين، والمقصود أن إرساله مقارن لشدة الرحمة وعمومها. ويدل لهذا المعنى قول النبي لف: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ﴾ أي مهداة من الله تعالى إلى الخلق. وهذا الإهداء هو سر معنى الإرسال في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، فافهم دقة سره. ومن مكمّلات كون شريعته رحمة كاملة أن الله قدر أن تكون صفة المرسل بتلك الشريعة هي صفة الرحمة أيضاً.

وإذ قد كان أصل غرضنا الكلام على صفة رسول ﷺ بوصف الرحمة، فلتبين مظهر تلك الرحمة في مقامين: مقام تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة ومقام إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته كلها.

1 - فالمقام الأول عماده قوله تعالى في صفة النبي ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنبياء: 107].

وقال أبو بكر محمد بن طاهر: (زين الله محمداً الي بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، وجميع شمائل وصفاته رحمة على الخلق)، أي أن محمداً ﷺ على خلق الرحمة في سائر أحوال معاملته للأمة لتكون مناسبة بين روحه الزكية وبين ما يلقي إليها من وحي الشريعة التي هي رحمة، حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح وطمأنينة قلب؛ لأنه يجد ما يلقي إليه ملائماً رغبته وخلقته.

ولذلك خص محمداً ﷺ بوصف الرحيم، ولم يوصف به أحد من أنبيائه ورسله، إذ قال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128)، وقال: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ﴾ (آل عمران: 159)، أي: برحمة خلقك الله عليها لنت لهم، فمظهر رحمته الذاتية في معاملاته الناس في سائر أحوال المعاملة. فقد قالت عائشة رضي الله عنها: (ما انتقم رسول الله لنفسه)، وقالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً).

وشواهد ذلك في سائر تصرفاته لرسول ﷺ، ومن ذلك أنه لما شج وجهه الشريف يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا لو دعوت عليهم فقال: ﴿إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً﴾ وما في الحديث الصحيح في غزوة ذات الرقاع أن رسول الله ﷺ كان نائمًا في القائلة تحت شجرة وسيفه معلق بها، فانتبه فوجد أعرابيًا مشركًا اسمه غورث بن الحارث قائمًا عند رأسه والسيف مصلت في يده، فقال لرسول الله ﷺ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقال: الله، فسقط السيْفُ من يد الأعرابي، فأخذه رسول الله وقال للأعرابي: (من يمنعك مني؟) فقال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه.

وقد ثبت بمتواتر الأخبار رحمة رسول الله ﷺ حلمه في وقائع جمة مروية في كتب الصحيح والسيرة برواية جمع من الصحابة، مثل عمر وعلي وعائشة وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنيس الغفاري وهند بن أبي هالة وجريز بن عبد الله البجلي وأبي سعيد الخدري وزيد بن سعدة. (1) وأعظم مظهر لرحمته ﷺ قوله: (لكل نبي دعوة مستجابة، وقد اختبأت دعوي شفاعة لأمتي يوم القيامة) ولذلك خصه الله بالشفاعة في الخلق في عرصات القيامة تلك الشفاعة التي لم يقدم عليها من سئلها من المرسلين عليهم الصلاة والسلام، كما ورد في حديث الشفاعة الصحيح.

[2 - المقام الثاني:] والآن وقد أتينا بلمحة دالة على مظهر الرحمة بما هي خلق النبي ﷺ، فنحن نبين إلى جانب ذلك مظهر الرحمة في المقام الثاني. وهو مقام التشريع الذي جاء به النبي ﷺ أي ما فيه من مقومات الرحمة العامة، فنعود إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 107].

ف نجد قوله: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ متعلقًا بقوله: ﴿رَحْمَةً﴾ لا محالة، وأن كلمة العالمين جمع يشمل كل ما يصدق عليه اسم العالم بسبب ما دلت عليه لأم التعريف من الاستغراق، أي عموم جميع الأنواع التي يصدق عليها اسم العالم، وأن إبراز ذلك الاسم المعرف باللام في صيغة الجمع قرينة على أن التعريف باللام تعريف استغراق، وأن المراد هو العالم بمعنى النوع من أنواع المخلوقات أو من أنواع أصناف ذوي العلم، بناءً على احتمالين في المراد من قوله تعالى ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ناشئين عن إطلاق اسم العالم مفردًا، مرةً على الكل المجموعي الذي يُعلم به الله تعالى، أي على جميع المخلوقات الدالة على وجود خالقها، ومرةً يُطلق على صنف من أصناف أولي العلم، أي المخلوقات أولي العلم كالنفس والملائكة.

وبذلك كانت صيغة جمع العالمين محتملة لأن يُراد بها جميع أصناف أولي العلم، وأن يُراد بها جميع أصناف الموجودات. فعلى الاحتمال الأول، يختص لفظ العالمين بالبشر المخاطبين بالشرعية، فيكون الجمع فيه لتأكيد العموم. وعلى الاحتمال الثاني، لقصد أن يعم لفظ العالمين سائر الموجودات، فيكون عمومًا على عموم.

فأما شموله البشر فلا أنهم المخاطبون بالشرعية، وأما شموله العجماء فلا أن البشر مخاطبون بالشرعية بالرحمة بهن، فكانت الشريعة رحمة لهن. ويخرج ما عدا البشر والحيوان، إذ لا تُتصور فيه الرحمة، فيكون خروج بقية الأجناس تخصيصًا للعموم بدليل العقل.

وإذ قد تبين هذا، فما لا شك فيه أن الشرائع الإلهية التي قبل الإسلام مملوءة رحمة، إلا أن الرحمة التي فيها غير عامة، إما بسبب عدم تعلّق بعضها بجميع أحوال المكلفين، مثل الحنيفية - شريعة إبراهيم عليه السلام - فهي شريعة رحمة خاصة بحالة النفس وليس فيها تشريع للأحوال العامة، وشريعة عيسى عليه السلام قريبة من ذلك على شدة في بعض أحكامها.

وإما لأنها قد تشتمل في غير القليل من أحكامها على شدة اقتضتها حكمة الله تعالى في سياسة الأمم المشروعة لها، مثل شريعة التوراة فإنها شريعة واسعة تتعلق بأكثر أحوال الأفراد والجماعات، وهي رحمة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 154]؛ فإن كثيرًا من عقوبات أمته جعلت في فرض أعمال شاقة على الأمة بتكليفها بفروض مستمرة، قال تعالى: ﴿فَيُظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: 160]، وقال: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِبِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذُلُّكُمْ﴾ [البقرة: 54].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبَلَّوْهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (7) [الأعراف: 163]، وقال: ﴿إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26]، وقال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْثِهِمْ﴾ [الأنعام: 146]، وقال رسول الله ﷺ في قصة البقرة: (لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم).

لا جرم أن الله اختص الشريعة الإسلامية بوصف الرحمة العامة، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى خطابًا لموسى عليه السلام: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (5) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الْأُنْبَى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الأعراف: 156 - 157]﴾.

ففي قوله: ﴿وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾، إشارة إلى أن الكلام على رحمة عامة، وفي قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ تصريح بأنها من خصوصيات الأمة الإسلامية. وكذلك قوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157] تكملة لذلك.

فالفرق بين شريعة الإسلام وبين غيرها من الشرائع أن الرحمة ملازمة بها للناس في سائر أحوالهم، وأنها حاصلة بها لسائر الخلق لا لأمة خاصة. وحكمة تميز شريعة الإسلام بهذه الخصيصة أن حالة النفوس البشرية بعد ما مر عليها من الأطوار والعصور قد تهيات لأن تُسأس بالرحمة، وأن تدفع عنها المشقة، إلا بمقادير ضرورية لا تُقام المصلحة بدونها، وكل ذلك رحمة من الله تعالى بعباده في إقامتهم على مصالحهم.

فما في الشرائع الماضية من امتزاج الرحمة بالشدة، وما في شريعة الإسلام من تمحض الرحمة لم يجر في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة. ولكن الله أسعد هذه الشريعة وصاحبها وأمتها بمصادفتها للزمن الذي اقتضت حكمة الله في مراعاة تقويم البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم. وتلك مناسبات مقدرة في الأزل، يظهر فيها ازدياد المقامات وتفاوت الكرامات.

من الأصول القطعية في الإسلام أن شريعة الإسلام أقيمت على دعائم الرحمة والرفق واليسر، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقال: ﴿بَرِيدُ اللَّهِ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185)، وقال: ﴿وَلَا نَقْتُلُكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: 26)، وقال: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إنما بعثت في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم بالحنيفية السمحة).

إن رحمة الشريعة تظهر في تبليغها وفي تنفيذها، فالأول قد جاء منجماً، والثاني قد جاء مدرجاً. وإليك شاهداً على الأول، قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا

ندع الخمر أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ و إني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْخُنَ وَأَمُرُّ﴾ (50) (القمر: 46)، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده).

و[إليك] شاهداً على الثاني: التدرج في تحريم الخمر، فأول ما بدئ بدم ما فيها من إثم في آية: ﴿وَإِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، ثم نزول آية: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ (النساء: 43)، ثم آية تحريم الخمر. (3)

وقد اختصت شريعة الإسلام برحمة كبرى في التشريع، وهي أن من أصولها دعوة الأمة إلى النظر في أدلة العقيدة وعلل التشريع كل على حسب استعداده، وتدريب الأمة على ذلك. ولذلك لا سأل سائل رسول الله ﷺ عن لقطة ضالة الغنم قال له: ((هي لك أو لأخيك أو للذئب))، فسأله السائل عن ضالة الإبل، فغضب رسول الله ﷺ من سؤاله وقال له: (مالك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها وتشرب الماء، وترعى الشجر، حتى يأتيها ربُّها)) «فما كان غضبه لله إلا لأن دليل عدم التقاطها قائم وعلته بيّنة.

وكان من أصول الشريعة في تشريع الأحكام مشروعية الاجتهاد لعلماء الشريعة بنص قول النبي ﷺ (من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد). أمّا أحكام الشريعة فتتقسم باعتبار متعلقاتها إلى أحكام :

أ - تتعلق بذات الفرد من الأمة، وهي أحكام العبادات والحدود. وأعظم ما في هذا النوع من الرحمة التوبة قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: 16].

ب - وأحكام تتعلق بأحوال الأفراد بعضهم مع بعض من حيث إنهم أفراد، وتلك أحكام المعاملات بإباحة التجارات والترغيب فيها، وأنواع التعاقد، والجنايات بدفع القسوة عن المظلوم، وفي آداب المعاشرة، وفيه قوله ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء). وهذا النوع من الأحكام يندرج تحت قاعدة العدل والإحسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

ج - وإلى أحكام تتعلق بالمجتمع الإسلامي بقطع النظر عن الأفراد، وهذه تحت قواعد الأخوة والمواساة وسياسة الأمة.

وهي في جميع هذه الأنواع مثال الرحمة، بحيث لا تسلك مسلك الشدة إلا لضرورة دفع الأضرار عن أن تتخلل جامعة الأمة من أفرادها أو من كيانها الاجتماعي. فمن أحوال التشريع قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)، و[قاعدة] (إذا اجتمع ضرران ينفي الأكبر بالأصغر)، وذلك رحمة بالجمهور، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 179]. ومن أصول التشريع قاعدة (المشقة تجلب التيسير).

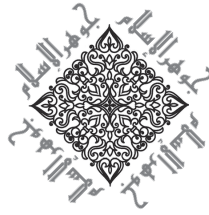
د - وإلى أحكام تتعلق بالمجتمع البشري كله وتلك أحكام الدعوة إلى الإسلام والجهاد والعهد والصلح والجزية والعفو عن الأسرى أو الفداء. ومن أكبر أصولها أصل جلب المصالح ودفع المفاسد في ضروريات الأمة وحاجياتها وتحسيناتها.

هـ - وأحكام تتعلق بالمخلوقات المحتاجة إلى الرحمة من الحيوان، فالمؤذي منها يُزال وغير المؤذي يجوز الانتفاع بالمقدار المتتبع به منه، ولا يجوز ما دون ذلك.

ولذلك كُرِه الصيد للهو، وحرّم تعذيب الحيوان لغير أكله، وعُدَّ سباق الخيل رخصة مستثناة من قاعدة تحريم التعذيب. وفي الحديث: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُريح ذبيحته).

وجاء الوعيد على تعذيب الحيوان والمثلة به، ففي حديث ابن عمرو وابن عباس أن النبي ﷺ نهى أن تُصَبَّر بهيمة أو طائر للرمي؟ وزاد ابن عمر من يفعل ذلك وفي حديث الموطأ أن الله غفر لا امرأة مومسة؛ لأنها رأت كلباً يلهث من العطش، فخلعت خُفَّها وأدلت به إلى بئر، وسقت الكلب، فغفر الله لها (3) وفي الحديث الصحيح: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض).

وتفاصيل الأحكام كثيرة، وشواهد غزيرة، وليس غرضنا الآن تفصيلها؛ لأنه مما يضيق عنه المقال، واللمحة تدل كل ذي بال.



كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الإسلام

بقلم : الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله

إن ما يملأ قلوب المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من ناموس المحبة العلوي، وما يهز نفوسهم من الفيض النوراني المتدفق جمالاً وجلالاً، ليأتي إليهم محملاً من ذكريات القرون الخالية بأريج طيب ينم عما كان لأسلافهم الكرام من العناية بذلك اليوم التاريخي الأعظم، وما ابتكروا لإظهار التعلق به وإعلان تمجيده من مظاهر الاحتفالات، فتتطلع النفوس إلى استقصاء خبر تلك الأيام الزهراء والليالي الغراء؛ إذ المسلمون ملوكاً وسوقة يتسابقون إلى الوفاء بالمستطاع من حقوق ذلك اليوم السعيد.

وإن في هذا الحديث العذب لسبباً يمتُّ إلى رحاب الفضل النبوي بخدمة من تشرفوا بخدمته والانتساب إليه وتخليد فضلهم بين معالم الدين، نرجو الاستمساك به إذ نفضي إلى قرأنا في هذه الكلمة بما جمعنا من ذكر الاحتفالات المولدية في عصور التاريخ.

ولعل أقدم ما عرف من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ما كان يفعله أهل مكة من زيارة المحل الذي ولد فيه النبي ﷺ وكلام الشهاب القسطلاني في «المواهب اللدنية» على إجماله فيفيد أن هذا وقع من أجيال يصح الاقتداء بفعلها، وذكر ابن ظهيرة في كتابه «الجامع اللطيف» أنه وجد هذه العادة في القرن العاشر يتوارثها الخلف عن السلف وبحث عن أوليتها فلم يظفر بها.

أمّا الاحتفال بهذه الذكرى الميمونة في غير مكّة فقد ظهر بمصر أثناء القرن الخامس على عهد الخلفاء الفاطميين. ولم يكن مولد النبي ﷺ عندهم خاصّاً بالاحتفال، بل كانوا يحتفلون معه بخمسة موالد أخرى هي: مولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، ومولد الحسن، ومولد الحسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الذي يكون متولياً، كل في اليوم الموافق له من أيام السنة.

وكيفية ذلك الاحتفال على ما أورده القلقشندي والمقرئزي أن يجلس الخليفة بالمنظرة التي فوق باب الذهب من القصر الكبير، وهي أدنى مناظر القصر من الأرض، ويكون قاضي القضاة وداعي الدعاة ومفتي الدولة والأشراف ومتولّي دار العلم والخطباء والمتصدّرون بجوامع القاهرة والقيّمون على مشاهدتها مجتمعين بالجامع الأزهر يختمون القرآن الكريم موزّعاً.

وعند انتهاء صلاة العصر يُمنع مرور الناس في ما بين الجامع الأزهر والقصر الكبير، ويقف والي القاهرة وصاحب بابها لتنظيم السير ومنع الازدحام، ويركب من كان بالجامع الأزهر يتقدمهم قاضي القضاة نحو القصر الكبير، حتى إذا لم يبق لهم عن الوصول إلى المنظرة إلا خطوات ترجّلوا وتقدّموا نحو المنظرة بإجلال وتشوُّق إلى رؤية وجه الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات المطلّة من المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة، وتفتح طاقة أخرى فيبدو منها أحد الأستاذين مُسلماً على الحاضرين بيده، مُبلّغاً إياهم سلام أمير المؤمنين، ويخصّ بالذكر وجوه الحاضرين بنعوتهم المعتادة. ثمّ يقف القراء وخطباء الجوامع الثلاثة الكبرى تحت حائط المنظرة مستقبليّن الناس بوجوههم، فيتداول الخطباء الخطابة والقراء خلال ذلك يقرؤون حتى إذا انتهوا أخرج الأستاذ يده من الطاقة مُسلماً ثمّ تُغلق الطاقتان وينفضّ الناس. وتوزّع في ذلك اليوم على الفقراء من النقود والطعام والحلوى مقادير ذات بال بالجامع الأزهر وجامعي الفسطاط والقرافة، كما يُحمل إلى ديار الأعيان والمستخدمين من طرف الخليفة عدد وافر من « صواني الحلويات »، حتى يكون ما يُنفق في هذا الموسم الشريف بالغاً مئات الدنانير وآلاف الدراهم ومئات الآلاف من أرطال الطعام.

وقد استمرت هذه العادة طول مدة الحكم الفاطمي بالديار المصرية، حتى إذا سقطت دولتهم أواسط القرن السادس كان هذا في جملة ما أبطلت الدولة الأيوبية من عوائدهم ومحت من آثارهم.

إلا أن سنَّة الاحتفال بالمولد النبوي لم تكد تنقطع من مصر القرن السادس حتى ظهرت بنواحي الموصل على صبح القرن السابع ظهورها البين؛ إذ أصبح الاحتفال خاصاً بالمولد النبوي لا كما كان يفعل الشيعة من إشراكه موالد آل البيت.

وأول ما بدئ ذلك بمدينة أربل بسعي ملكها ومعرها الأمير الشاب الشهم المحسن المتفضل الملك المعظم أبي سعيد مظفر كوكبوري بن زين الدين كوجك علي المتوفي سنة (630هـ) ودفن المشهد العلوي الشريف بالكوفة.

وقد بالغ _ رحمه الله _ في تعظيم الاحتفال بالمولد وتفخيمه حتى كان يهتَرُّ ما حول مدينته من الموصل والعراق وبلاد الكرد والعجم فتفيض على مدينته بوفود الفقهاء والصوفيَّة والوعاظ والقراء، فتقام الاحتفالات الشائقة التي قصر وصف الواصفين عن الاحاطة بها.

ويبتدئ الاستعداد لتلك الاحتفالات وتقاطر الوفود لأجلها من أول محرم، ولا تبتدئ الاحتفالات إلا اليوم الأوَّل من ربيع الأول، فمن يومئذ يُعطل جميع الناس أعمالهم، وتُقام فيما بين قلعتيه وقصر الخانقاه قباب خشبية مزينة ذات طبقات، في كل طبقة منها جوق من أرباب المغاني وأصحاب الخيال وسائر الملاهي، وما يزال دأب الناس الدوران على تلك القباب.

وينزل السلطان كل يوم من قلعتيه بعد صلاة العصر فيشارك الناس في طوافهم ومرحهم، ويستمرُّ هذا ستة أيام أو عشرة بحسب اليوم الذي يُقام فيه احتفال المولد تلك السنة؛ لأنه كان يُقام الاحتفال في اليوم الثاني عشر عاماً وفي اليوم الثامن عاماً مراعاة للخلاف.

فإذا كان اليوم السادس أو العاشر ولم يبق للمولد إلا يومان جمعت قطعان كثيرة لا تُحصى من الإبل والبقر والغنم وسيقت إلى الميدان الأكبر الذي بين القلعة والخانقاه محفوفة بالطبول وجوقات المغاني والملاهي، فشرع في نحرها ونصبت القدور لطبخ الألوان المختلفة من الطعام ويستمر النحر والطبخ متوالياً، وفي ليلة المولد يصلي المغرب بالقلعة ثم يقيم بعد الصلاة مجلس إنشاد وذكر حافل، ومنه يخرج في موكب بهيج تتقدمه مئات من الشموع العظمى موقدة، فيخترق الميدان الأكبر حتى ينتهي إلى الخانقاه. وفي صباح يوم المولد يقيم بالميدان مجمعاً حاشداً

يضمُّ الأعيان والرؤساء وعموم الناس من أهل بلده والوافدين عليه، ويُنصب كرسي الوعاظ وموضع لجلوسه هو على شكل برج من الخشب، ولكلٍّ من كرسي الوعاظ ومقام الملك شبابيك على الميدان، ويكون جلوس العلماء والأعيان حول مجلسه وكرسي الوعاظ، ثمَّ يبدأ في عرض الجند بالميدان ويتخلَّل ذلك العرض قيام الوعاظ من كراسيهم لوعظ الناس، والملك مشرف على عرض الجند مرَّة ومُصنَّع إلى الوعاظ أخرى.

وفي أثناء ذلك ينادي الحاضرين من الرؤساء والأعيان والوافدين على البلد فيُخلع عليهم، حتى إذا كان قرب الزوال وفرغ من عرض الجند أقيم سماطان، أحدهما بالميدان لعامة الناس وصعاليكهم، والآخر بالخانقاه لمن كان مجلسه حول الكرسي، ويقع الإرسال إلى دار من تعين لأن يرسل إليه من السماط، ولا ينتهي السماط إلى قرب العصر، ويبيت تلك الليلة بالخانقاه ويقضيها ليلة سماع فاخر إلى الصباح، إذ يتجهَّز الوافدون للسفر فيمدَّ كلاً منهم بنفقة، وقد نقل ابن الجوزي عن بعض من حضر هذه الاحتفالات أنه كان يُنفق عليها ثلاثمائة ألف دينار.

وقد كانت هذه الاحتفالات منشأً لتأليف الكتب الخاصة بأخبار المولد الشريف وتلاوتها في الاجتماع لذكرى المولد؛ وذلك أنه في سنة (604هـ) كان من جملة الوافدين على الملك مظفر الدين العلامة الرَّحالة الحافظ المحدث الحافظ اللغوي أبو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين ابن دحية البلنسي الأندلسي الظاهري ثم الحنبلي المتوفى بالقاهرة سنة (633هـ)، فلما رأى عناية الملك بأمر المولد صنَّف له كتاباً سماه «التنوير، بمولد السراج المنير» وقرأه بمحضره في موكب يوم المولد على كرسي الوعاظ وذيلَه بقصيدة مطلعها «لولا الوشاة وهم أعداؤنا وصموا» فأجازه بألف دينار، واتخذت تلاوته عادة للملك فكان كثيراً ما يقرأه بنفسه، وسمعه منه القاضي أحمد بن خلكان، وجرى على عمله الملوك فذاعت مجالس تلاوة المولد بالمشرق، وكتب العلماء موالد كثيرة نسجاً على منوال الحافظ ابن دحية.

وشاعت هذه العادة بالمغرب أواسط القرن السابع، وكان من أدخلها أبو القاسم العزفي أمير سبتة من عام (647هـ) إلى عام (677هـ) وهو من بيت العلم والإمارة التي قال فيها أبو العباس المقرئ في (أزهار الرياض): «بنو العزفي المشاهير، الذين

برزوا في ميدان السبق على الخواص والجماهير، وحازوا رئاسة الدين والدنيا، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا».

وقد استحسّن رواج هذه العادة بالمغرب شيوخ المذهب المالكي به، ومنهم أبو موسى ابن الإمام، ونقل الخطيب ابن مرزوق أن بعض العلماء أنكر ذلك إلا أنه استظهر قول ابن الإمام والجمهور وتقرّر اتباع هذا الاستحسان عند طبقات العلماء بالمغرب، وجرى ملوك المغرب والأندلس على الاعتناء بحفلة المولد فلم يكونوا يغفلونها.

وكان السبق في ذلك الميدان للاحتفال الباهر الذي يقيمه كل عام بمدينة تلمسان السلطان أبو حمو موسى الزيّاني، وكان مُلكه فيما بين (760 و 791 هـ).

وكان الاحتفال يقام ليلة المولد بالمشهور _ وهو ساحة القصر في استعمال أهل المغرب _ ويُدعى إليه خاصة الناس وعامتهم، فيكون المشور بالغاً نهاية الأبهة وأكمل مظاهر الزينة، مفروشاً بالزّرابي الفاخرة وعليها نمارق الجلد المغربي الرفيع قد حَفَّتْها الوسائد المغشّى جلدها بالذهب، وانبثت في أطراف المجلس الشموع العظيمة المزهرة، ويجلس السلطان في صدر المجلس والناس حوله، وهم في قريبهم منه على نسبة مراتبهم، والخدم في ثياب ملوّنة يطوفون عليهم بالمباخر والمرشّات.

ويكون المنشدون قياماً بين يدي السلطان يترنّمون بالمديح النبوي والزهديات، وأول ما يبتدئون بإنشاده قصيدة السلطان، وكان ينظم كلّ عام قصيدة، كما ينظم له الشعراء قصائد بتلك المناسبة تعرف عندهم بالميلاديات؛ فمنها في بعض السنين قصيدة كاتبه أبي زكريا ابن خلدون: ما على الصبّ في الهوى من جُناح أن يرى حلف عبّرة واقتضاح وفي بعضها موشح محمد بن أبي جمعة التاليسي الذي عارض به «ليل الهوى يقظان» وطالعه:

لي مَدَمَع هتان ينهلُّ مثل الدُّرر قد صيرَّ الأجفان ما إن لها من أثر

وقد ضمّن جميع تلك القصائد الحافظ أبو عبد الله التنسي في كتابه الذي سماه «راح الأرواح»، فيما قاله السلطان أبو حمو من الشعر وما قيل فيه من الأمداح، وفي آخر الليل يُمدُّ للحاضرين سباط فاخر يشهده الملك، وينفضّ المحفل عند انبلاج الصّباح.

ومن أروع ما كان يُزيّن تلك الحفلة المنجاة البديعة ذات التماثيل العظيمة من اللجين التي كانت تستعمل عندهم لمعرفة الساعات بالليل، وقد يخرج بنا الإطناّب في وصفها عن الموضوع، فمن أراد التملّي من ذلك فليرجع إلى الجزء الرابع من نفح الطيب.

وإلى جانب هذه الاحتفالات الرسمية التي تُقام لذكرى المولد من طرف الملوّك، تُقام احتفالات أخرى خاصة يجعلها الناس في منازلهم لتلاوة المولد وأناشيد المديح، ويظهرون لها علامات الفرح وشارات الزينة وتغدق فيها الصّدقات وتؤدّب المآدب.

وقد ظهرت هذه الاحتفالات بالمشرق في القرن السابع واستحسنها إمام الشافعية يومئذ الشيخ عبد الرحمن أبو شامة شيخ الإمام النوري، واستمرّ تنافس الناس في إقامة الموالد ومبالغتهم في النفقة عليها حتى قرنوا الإنشاد بنقر الدفوف ونفخ المزامير.

ولم ينبلج صبح القرن الثامن إلا وقد حفّ بالاحتفالات من الغلو ما كان داعياً لإنكار كثير من العلماء إنكاراً جرّهم إلى الإنكار على أصل إقامة المولد، وكان في مقدمة هؤلاء الفقيه المالكي تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندري المعروف بالفاكهاني المتوفى سنة (731 هـ)، فكتب في ذلك رسالة سماها «المورد، في الكلام على المولد»، وقد أوردها جلال الدين السيوطي بنصّها في كتاب «حسن المقصد» الآتي ذكره.

وقد دخل في عوائد المولد صدر القرن الثامن عادة الوقوف لإجلال ذكر النبي (صلى الله عليه وسلّم) وكان ابتداءها بالشام، وأول من فعلها الشيخ الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة (756 هـ) في قصة أوردها ابنه الشيخ تاج الدين في طبقات الشافعية «بالعبارات الآتية: حضر مرة ختمة بالجامع الأموي وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة، فأُنشد المُنشد قصيدة الصرصري التي أولها: «ليل لمدح المصطفى الخطّ بالذهب»، فلمّا قال:

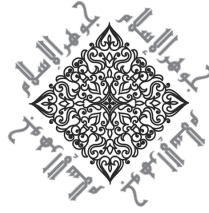
وَأَنْ تَنْهَضَ الْأَشْرَافَ عِنْدَ سَمَاعِهِ قِيَاماً صَفُوفاً أَوْ جِثِيّاً عَلَى الرُّكْبِ

حصل للشيخ حالة وقام للحال فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا أجمعون وحصلت ساعة طيبة، ١ هـ. وقد التزم الناس من يومئذ إنشاد أبيات الصرصري في مجالس المولد والقيام عندها، وكان ذكرهم الأبيات ملتزماً عند الوصول إلى ذكر ساعة المولد، ثم صار بعضهم يجعل القيام لمجرد ذكر المولد.

وقد أتى القرن التاسع والناس بين مجيز ومانع مترددين في حكم إقامة الموالد والقيام لها، محتارين فيما تضم الحفلات المولدية من الأمور المتقدمة التي كانت سبباً لإنكار المنكرين، حتى قام أئمة القرن التاسع الأعلام أمثال الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيتمي بتأييد إقامة المولد واستحسانه، وصرّحوا بأن ما طرأ على الموالد من الأمور المنكرة يجب تجريد المولد عنها ولا تكون قاضية على الأصل بالإبطال، واستخرجوا لذلك أدلة مستروحة من السنة الشريفة، وعلى ذلك بنى الحافظ السيوطي رسالته البديعة «حسن المقصد، في عمل المولد» التي ردّ فيها على رسالة الفاكهاني المتقدمة.

وتقرر هذا الاستحسان عند علماء المسلمين وشاعت الموالد في غالب البلاد الإسلامية، وكان لرؤساء الزوايا الصوفية بالمشرق والمغرب عناية زائدة بهذه الاحتفالات التي اصطبغت بأشكال مختلفة بحسب اختلاف الطرق الصوفية الراجعة لها تلك المعاهد، واتخذ مشايخ الصوفية بخصوص الاحتفال بالمولد مواكب سيارة في الطرقات زيادة على مجلس التلاوة.

ولم تزل هذه العوائد متوازنة بغالب بلاد الإسلام على نحو ما كانت عليه في القرن التاسع، ولكن الظاهر أنه قد اعتراها فتور بالمغرب الأقصى منذ القرن العاشر؛ فقد ذكر الأستاذ العلامة سيدي محمد الحجوي في رسالته «إصفاء المورد، في عدم القيام عند سماع المولد» سنة (1337 هـ) ما نصّه: «ولا كان عمل الموالد يحتفل فيه الكثير من الناس فيما أدركنّا، وإنما ذلك في هذه السنة وما قُرب منها».



الاحتفال بالمولد النبوي الشريف «احتفاء وتذكير»

بقلم فضيلة الشيخ : محمد الشاذلي النيفر رحمه الله

اتصف المسلمون من صحابة وغيرهم من السلف الصالح بتعظيم مقام النبوة بالمحبة وأنواع التعظيم، وذلك طبعاً بعد محبة الخالق تعالى.

وقد ذكر التاريخ من تعظيمهم لمقام النبوة ما يدل على شدة إعظامهم وحبهم للنبي ﷺ، وهناك نتف تدل على أن الصحابة لا شيء عندهم أفضل من النبي ﷺ بعد تعظيم الخالق. منها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: «كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظم!». وقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد ﷺ».

وجاء في «الشفاء» للقاضي عياض: قال التجيبي: «كان أصحاب النبي بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقتشعرت جلودهم وبكوا».

وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه، وكذلك كان المسلمون في القرون الأولى، لم يضعف إعظامهم للنبي ﷺ وما يتصل به من أسباب، فمقام النبوة في التعظيم في حال محمود.

ولكن بعد ذلك فترت الهمم، فاحتجج إلى إيقاظها، وهذا بعد القرن الثالث الهجري، كما أفاده الحافظ «ابن حجر العسقلاني» (ت 852 هـ) الإمام الشهير، فإنه ذكر لما سئل عن عمل المولد فأجاب: «أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من

السلف الصالح من القرون الثلاث، فمن تحرى في عمله المحاسن، وتجنب ضدها، كان بدعة حسنة، وإلا فلا».

إنما أجاب الحافظ «ابن حجر» بذلك لأنها كانت تقع في بعض الموالد أمور منكرة، من ذلك أنه إذا دخل شهر ربيع الأول سارع بعض الناس إلى اللهو واللعب بما لا يجوز.

وقد فصل الكلام في هذا «العبدري محمد بن محمد» الشهير بـ«ابن الحاج» (ت 737هـ) فيما هو من محاسن الأعمال في المولد وما هو ضدها في كتابه الشهير «المدخل»، وهو من الكتب المفيدة جدا.

وقد اعتنى حين فترت الهمم عن تعظيم مقام النبوة الصالحون من العلماء وغيرهم بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، واشتهر بإقامة احتفالات باهرة أحد الأمراء الذين خدموا الإسلام خدمة لا تنكر، وهو: «كوكبوري بن علي بن بكتكين مظفر الدين» صاحب إربل، كان محظوظا عند «صلاح الدين الأيوبي»، وزوجه أخته، وشهد مع «صلاح الدين» مواقف حربية كثيرة، وأبان فيها عن نجدة، وثبت في مواضع لم يثبت بها غيره.

قال «ابن خلكان»: «لو لم يكن له إلا وقعة حطين لكفته»، وهذه الواقعة حصدت بها شوكة الصليبيين، ونج عنها فتح بيت المقدس واستخلاصه من الصليبيين، ولولا ذلك لضاع كما ضاعت الأندلس.

فـ«مظفر الدين» من قواد الإسلام الذين أعادوا للمسلمين في الشام ما فقدوه من أرضها، ويكفي إعادة بيت المقدس التي ذهبت بآلاف أرواح المسلمين الذين كانوا به حين الاستيلاء الصليبي الغاشم.

فهذا القائد المظفر في دفاعه عن الإسلام كانت له عناية بالاحتفال بمولده ﷺ كما قال «ابن خلكان»: «وأما احتفاله بمولد الرسول ﷺ فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفا منه...».

وقد نوه «ابن خلكان» باحتفالاته بالمولد النبوي الكريم تنويها يدل على تعلق هذا القائد المظفر والمجاهد الصابر، فالاعتناء بالمولد لم يبتدئ بالبطلين كما يقول «الفاكهاني»، بل ابتدأ بعظماء رجال الإسلام.

وقد ثار حول عمل المولد «الفاكهاني» المالكي مدعياً أنه ليس له أصل من كتاب ولا سنة، وهو بدعة لا تجوز.

وقد ألف «السيوطي» كتاباً في رد كلامه سماه «حسن المقصد في عمل المولد»، فند فيه ما ادعاه «الفاكهاني» من أنه ليس هناك نص يجيز الاحتفال بالمولد بما أجاب به شيخ الإسلام الحافظ «ابن حجر» بأنه قد ظهر له تخريج عمل المولد على أصل من السنة، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نعصمه شكراً لله تعالى.

فيستفاد من هذا الحديث فعل الشكر لله تعالى على ما من به في يوم معين، من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، فعلى هذا يجوز لنا أن نشكر الله تعالى على النعمة الكبرى، وهي ميلاد أفضل المخلوقات سيدنا محمد ﷺ في يوم مولده ﷺ. وزاد على ما ذكره «ابن حجر» «السيوطي» أن النبي ﷺ عك عن نفسه، والعقيقة ما يذبح في سابع المولود، فلما عك النبي ﷺ على نفسه كان ذلك دليلاً على الاحتفال بالمولد.

وأزيد على ذلك ما يؤيد ما تقدم عن «ابن حجر» و«السيوطي» أن الله أوجب علينا محبة نبيه عليه الصلاة والسلام بعد محبته جل وعلا، وذلك يوجب علينا تعظيم كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، ومن ذلك تعظيم يوم مولده بالاحتفال به بما يجيزه الشرع الكريم. وقد اعتنى العلماء بتأليف فيها تاريخ مولده ﷺ، من ذلك ما ألفه الحافظ الأديب عمر بن الحسن الشهير بـ «ابن دحية الكلبي» الأندلسي ثم القاهري توفي (633هـ) في المولد النبوي وهو «التنوير في مولد السراج المنير»، ألفه باسم مظفر الدين ملك إربل، وقرأه عليه بنفسه. واسترسل العلماء في التأليف، تعريفاً بالمقام النبوي الشريف مما يدل على أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف أمر مطلوب متأكد تجب العناية به وتقديمه على غيره.

وكما اشتهر صاحب إربل بالعناية الفائقة بالمولد النبوي، كذلك في المغرب اعتنى به أيما اعتناء وتوسع في الاحتفال به الأمير «أبو حمو موسى بن يوسف» مجدد دولة بني عبد الواد في تلمسان الذي عاش مدة بتونس (ت 791هـ)، وقد خصه «يحيى بن خلدون» بتاريخه في الجزء الثاني من «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»، وقد أفاض يحيى بن خلدون أخو «عبد الرحمن» في ذكر احتفاله بمولد النبي، وما

أنشد فيه من قصائد، وما جمع فيه من ذوات، تعلقا بالمقام النبوي، زاده الله تشريفاً وتكريماً.

وقد عم الأصفاع الإسلامية الاحتفال بالمولد النبوي في صور مختلفة في جهات متعددة، وقد أشاد بالاحتفال بالمولد النبوي بتونس الأمير «أحمد بن مصطفى باشا باي»، حيث خصه بموكب عظيم، وقد أشار المؤرخ «ابن أبي ضياف» إلى تفخيم الأمير «أحمد باي» الاحتفال بالمولد وما كان عليه قبل ذلك.

ذكر «ابن أبي ضياف» في الجزء الرابع من تاريخه «إتحاف أهل الزمان»: وفي ربيع الأول من هذه السنة (1257هـ / 1841م) احتفل بالمولد النبوي الشريف لما طبع عليه من عظيم المحبة في المصطفى وآل بيته، وكان يوم المولد بحاضرنا كمواسم السنة غير العيدين، ويزيد باجتماع الصبيان في المكاتب المفروشة، يصلون على النبي ﷺ، فاقضى نظره أن شأن المولد يجب له من السرور والفخامة ما لا يجب لغيره، وأمر بتنوير سائر المآذن بالحاضرة ليلة المولد وليلتين بعده.

ثم ذكر بعد ذلك كيفية الاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف بحضور الأمير والأمرء وأصناف الجنود من دار المملكة ببطحاء القصبة، ويأتي الباي راجلاً إلى الجامع الأعظم جامع الزيتونة الذي يجتمع به العلماء وأكثرية من أهل تونس، إلى أن ينتهي إلى المحراب، فيجلس حذو إمام الجامع، وكان يومئذ الشيخ «إبراهيم الرياحي»، ويقرأ ما اختصره من مولد الإمام «البكري»، والجامع يعج بالحاضرين.

ومما التزم في يوم المولد قراءة قصيدة «الهمزية» للإمام «البوصيري» المسماة بـ«أم القرى في مدح خير الورى» من جميع الحاضرين، وينتهي الموكب بالدعاء والتوجه إلى القبلة.

ولا زال هذا الاحتفال إلى اليوم يجري على السنن المذكورة، في روعة وتوجه واحتفاء بمولده الكريم، أفاض الله عليه دائم الصلوات ونوامي البركات.

[1] [التوبة: 128]

[2] عرف التعريف بالمولد الشريف، للإمام الحافظ المقرئ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ص 22) بعناية محمد أبي الخير الملقبي، طبعة دار الحديث الكتانية.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

[4] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص 385) طبعة دار الفكر 2002م.

[5] رواه الحافظ عز الدين ابن الأثير الجزري في «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج 2/ ص 358) طبعة دار الكتب العلمية.

[6] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص 388) طبعة دار الفكر 2002م.

[7] أي بدعة بالمعنى اللغوي: وهي كل شيء عمل على غير مثال سابق. وما هو كذلك تعتريه الأحكام الشرعية الخمسة، وقد وضح ذلك الحافظ محيي الدين النووي في شرح قول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة» فقال: هذا عام مخصوص، والمراد: غالب البدع. قال أهل اللغة: هي كل شيء عمل على غير مثال سابق. قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرومة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك. ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك. ومن المباح: التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك. والحرام والمكروه ظاهران. (المنهاج، ج 1/ ص 154، 155)

[8] وقد اتفق كبار علماء الأمة على تقسيم البدع لغة في نظر الشرع إلى حسنة وقيحة، قال الإمام شهاب الدين أبو شامة: الحوادث منقسمة إلى بدع مستحسنة، وبدع مستقبحة. قال حرمله بن يحيى: سمعت الشافعي يقول: البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم. (الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص 93 طبعة دار الراجعية). وقال الإمام ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح. (النهاية في غريب الحديث، ج 1/ ص 106 - 107)

[9] نقل الحافظ السيوطي كلام الحافظ ابن حجر في «حسن المقصد في عمل المولد» (ص 63) طبعة دار الكتب العلمية.

[10] وبعض الناس يتعمد بتر كلام «ابن الحاج» في المدخل، ويوردون كلامه في النهي عن الاحتفال بالمولد بغير ما لا يجوز شرعا كاستعمال آلات الطرب

والمغاني، وأنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ بذلك الفعل، ويوهمون أنه جعل أصل الاحتفال ممنوعاً، وهذا تحريف منهم، ولا يذكرون قوله مستدركا على أصحاب الآلات والمغاني: آلة الطرب والسماع أي نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي من الله تعالى علينا فيه بسيد الأولين والآخرين؟! فكان يجب أن يزداد فيه من العبادات والخير شكراً للمولى سبحانه وتعالى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة، وإن كان النبي ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات، وما ذلك إلا لرحمته ﷺ بأتمته ورفقه بهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمته رحمة منه بهم. (المدخل، ج 2/ ص 2) ثم قال ابن الحاج بعد بيان فضل شهر ويوم مولده ﷺ: ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به، وذلك بالاتباع له ﷺ في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات، ألا ترى إلى قول البخاري رحمه الله تعالى: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان»؟! فنتمثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله عليه الصلاة والسلام على قدر استطاعتنا. (المدخل، ج 2/ ص 3) طبعة مكتبة دار التراث.

[11] هو أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف من أهل السنة. و«كوكبوري» اسم تركي، معناه بالعربي: ذئب أزرق. قال ابن خلكان في حقه: كان كريم الأخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة. (وفيات الأعيان، ج 4/ ص 119) ومقصوده بعقيدة أهل السنة والجماعة ما كان عليه أيضاً القائد صلاح الدين الأيوبي وهي عقيدة أهل السنة الأشاعرة. وقد كان مظفر الدين بطلاً من أبطال المسلمين، فقد وصفه الحافظ ابن كثير في تاريخه بأنه كان «شهماً، شجاعاً، فاتكاً، بطلاً، عاقلاً، عالماً، عادلاً، رحمه الله وأكرم مثواه». وقد حكى أنه لما كانت زوجته معه على عكا قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم، فعاتبته بذلك فقال: لبسي ثوباً بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً وأدع الفقير المسكين. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار، وعلى الحرمين والمياه بدرج الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى. (البداية والنهاية ج 13/ ص 160)

[12] أي: شجاعة.

[13] وفيات الأعيان (ج 4/ ص 115) دار صادر.

[14] وفيات الأعيان (ج 4/ ص 117) دار صادر.

[15] ويشير إلى هذا قول الإمام أبي شامة: البدع الحسنة: متفق على جواز فعلها والاستحباب لها، ورجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها، وهي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة، غير مخالف لشيء منها، ولا يلزم من فعله محذور شرعي. ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يفعل في مدينة إربل - جبرها الله تعالى - كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله، وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى جميع المرسلين. (الباعث، ص 96)

[16] ومن أئمة أهل السنة الأشاعرة، وله عقيدة سنية أشعرية ما تزال مخطوطة، والعجب من المجسمة يحتفلون برسالاته «المورد» ويعرضون عن عقيدته السنية الصافية، ويعتقدون ويروجون نقيضها من التجسيم والتشبيه، وكان الواجب عليهم اتباع الإمام تاج الدين الفاكهاني فيما لا يجوز الخلاف فيه من أصول الاعتقاد، وأما الاحتفال بالمولد فعمل فرعي، والحق فيه مع جمهور العلماء والفقهاء في تفصيل حكم الاحتفال به بحسب ما يقع فيه من الأعمال.

[17] راجع حسن المقصد للحافظ السيوطي (ص 63) ويتعلل بعض الناهين عن الاحتفال بمولد سيد الكائنات ﷺ بأن شهر ولادته ﷺ - وهو ربيع الأول - هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه. والجواب عن هذه الشبهة أن يقال: إن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيدة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره، بل نهى عن النياحة والجزع. وظاهر قواعد الشريعة يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته. وهكذا كل من يحاول النهي عن الاحتفال بالمولد الشريف مدعياً اتباع الشريعة يتبين عند التحقيق أنه مخالف لأدلة الشريعة ولمقاصد الشريعة.

[18] عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعدما بعث نبياً. قال الحافظ الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط (رقم 994) ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا

الهيثم بن جميل وهو ثقة. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج 4/ ص 65) دار الكتب العلمية.

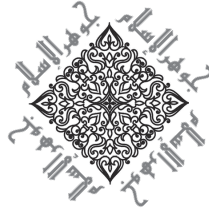
[19] قال ابن خلكان في ترجمته: كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب «التنوير في مولد البشير النذير»، وقرأه عليه بنفسه. (راجع الأعلام للزركلي، ج 5/ ص 44)

[20] إتحاف أهل الزمان (ج 4/ ص 53) الدار العربية للكتاب.

[21] إتحاف أهل الزمان (ج 4/ ص 53) الدار العربية للكتاب.

[22] وذكر العلامة الفقيه ابن أبي دينار في كتابه الممتنع «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» مشهداً من المشاهد الجميلة التي كانت عليها تونس - بلد العلم والعلماء والصالحين - في مناسبة المولد النبوي الشريف فقال: «ومن أعياد أهل تونس المشهورة ومواسمهم المذكورة ومساعيهم المشكورة: تعظيمهم ليلة المولد الشريف، وذلك لأجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات ﷺ. وأول من اعتنى بتعظيمه في البلاد المغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان أبو عنان المريني شكر الله سعيه، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية، وأولهم أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز، وكان في أول المئة الثامنة، واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك، جعل الله ثوابه في صحائفه، وأظله في ظل النجاة يوم لا ظل إلا ظل عرشه. واقتدت به بنو أبي حفص من بعده، ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيمه عاملهم الله بنياتهم، فإنهم يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وينشدون الأشعار في المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب ويجعلون أماكن تقرأ فيها التخاميس وتنشد الأبيات الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية، وتوقد القناديل، وتسرج الشموع، وتكون تلك الليلة أشهر ليالي سنتهم، ويصنعون الأطعمة الفاخرة احتساباً لله، وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الأشراف يحضرها الأجلة من الناس والقراء والفقهاء، ويقع فيها السماع والأنشيد بالمدائح النبوية، ويهرع الناس إليها من أطراف البلد. (راجع المؤنس، ص 290)

[23] وقد اعتنى بها وحققها وعلق عليها ونشرها الشيخ الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى.



ميلاد سيدنا محمد ﷺ تجديد للعهد وصقل للباطن وعمل دائم لإنقاذ البشرية

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

ولدت نساء العالمين منذ أن اقترنت حواء بآدم آلاف الأفاذ والعظماء الذين بدلوا مجرى التاريخ وحققوا لأممهم بعض ما تطمح إليه في دنيا المادة ودنيا الروح على حد السواء: وظفر كثير من أولئك الأفاذ بما هم جديرون به من إعزاز وتخليد. ومر كثير آخر مرور الطيف السريع أو الومضة الخاطفة فلم تعرفهم الحياة ولا أبناء الحياة لفترة أو وقفة تمكنهم من إسداء الخير وإنماء حصيلته وإثراء حقوله. وانه لمن الإنصاف البعيد عن التعصب والمرتكز على الأدلة المنطقية والعقلية أن نقول بدون تلجلج ولا تلغثم. إن الرجل الوحيد الذي توفرت لديه جميع أسباب الخلود والذي قدم لهذه الإنسانية الحائرة أعظم زاد فكري وروحي ومادي بما جمع بين أيديها مما يفتقر إليه الإنسان من توجيهات ربه في شؤون معاشه ومعاده ويسره وعسره وتقدمه وتخلفه وفرديته واجتماعيته بل وفي سلمه وحره وفي الأنظمة التي يساس بها والأحكام التي تسلط عليه في حالات الشدوذ والنشاز فتصلحه ولا يصلحه سواها قلت إن ذلك الرجل الوحيد هو محمد بن عبد الله ﷺ فهو الذي حظي من لدن المبدع الحكيم بالرسالة الشاملة الخالدة وبالدين الذي ورث الأديان كلها واستوعب جميع ما اشتملت عليه من إصلاح وتوجيه، فلا غرو إذن أن يكون سيد العالمين وان يعتبر الذين فتحت بصائرهم شريعته الغراء أن ذلك اليوم الذي ولد فيه هو اشرف أيام الدهر وهو اليوم الحقيقي لميلاد الإنسانية المثلى، والفضائل الخالدة والأنوار المشعة. وهو بحق يوم الرحمة الربانية الغامرة الشاملة تلك الرحمة التي أجلت إلى الأبد عن هذا الكون والكائن مظاهر المسخ والإبادة الجماعية مما كان يتهدد أمة عتت عن أمر ربها، واتخذت آياته ورسله هزواً وهو اليوم الذي أقيمت فيه على

الإنسان الحجة المبكّنة بما جمع بين يديه من أجوبة عن كل سؤال وأدوية لكل علة. وحلول لكل معضلة.

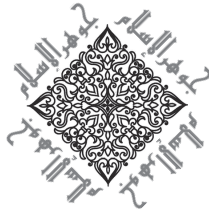
فإذا ما هفت أرواح المؤمنين إلى تنسم عبير الهدي المحمدي من أردان أول الربيعين من كل سنة فلان ذلك اليوم يعتبر لديهم يوم الخلق الحقيقي أو يوم اكتشافهم لأنفسهم وظفرهم بمفاتيح الطلاسم المعقدة في خباياهم وطواياهم وذلك لعمري هو بدء السعادة ولباب ثمارها وزبدة مخيضها.

إن دين الرسالة المحمدية على أعتابها لثقل. وإن قدرها لدى العارفين بها لعظيم وجليل. إنها لتلك الرسالة التي تفتحت لها وعليها قلوب السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فأصبحت إكسير حياتهم وغذاء أفئدتهم وأرواحهم اعتصموا بها فاعتصمت بهم. وفدوها فافتدتهم. ورفعوها فارتفعت بهم إلى حيث ينتهي الطموح وتتهادى المراتب البشرية العادية. لقد أدخلتهم جنان الخلد قبل أن يغادروا دنيا الفتون والشُرور.

وجعلتهم في أقل من ربع قرن أئمة وجعلتهم الوارثين. إنها لتعطي للمتعلقين بها أكثر مما تأخذ منهم تعطيهم الفوز والسعادة والازدهار وتعطيهم الطمأنينة والطمأنينة والنماء والاستقرار ولا تأخذ منهم مقابل ذلك إلا أن يذودوا عن قلوبهم وأبدانهم طفيليات الشر وجراثيم الفساد وأن يلزموا أنفسهم كلمة التقوى التي ليسوا أجنيبين عنها وليست أجنبية عنهم فلقد (كانوا أحق بها وأهلها) وسيبقون كذلك إلى أن يأذن الله لهذا الكوكب بالزوال والأفول.

وما تلك التكاليف التي أناطها التشريع الإسلامي بعهدتهم إلا أسباب بسيطة سهلة شرعت لتحقيق تلك الغاية البعيدة المنال وبدونها سوف تبقى رغم كل الأنوف محض جنون وخيال.

إن احتفال المسلمين بميلاد محمد عليه السلام لأبعد وأعظم من أن يكون موائد أو شموعاً أو شماريخ أو خطبات رنانة أو قصائد عصماء انه التجديد للعهد والصقل للبواطن والعمل الدائب الرصين لإنقاذ البشرية مما تردت فيه من وثنيات ما عرفه الإنسان البدائي في عصور ظلامه وانحطاطه. انه المصارحة الصادقة الجريئة للنفس وللقوم بما أصبح يفصلنا ويبعدنا عن تلك المعية التي جعلها القرآن شرطاً لبلوغ إغاضة الكافرين ومغفرة الذنوب وإجزال الأجر حيث قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾ صدق الله العظيم.



من وحي المولد النبوي

قد تربعت في القلوب مقاما لم ينل بعضه عظيم الرجال

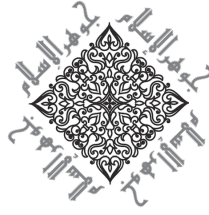
شعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يا رسولا دعا لكل كمال
مثلا أنشئت بكل جمال
بإتزان وروعة وجلال
رددته الأكوان دون ملال
من معاني التنعيم والإفضال
لى وأنت المشيع للأمثال
غير عسف ومتعة وضلال
منبع الخير والهدى والنوال
ترهات وأضرَبًا من خيال
أنت حطمت محكم الأغلال
وانتشلت النهى وأي انتشال
حسب الجهل غزوه كالمحال
كان قدما يرى عزيز المنال
أنت أبرزتها بكل اعتدال
لم تؤيد بصادق الأفعال ؟
سوف يبقى منارة الأجيال
كم تحملت من صنوف النكال ؟

دينك السمح سلم للمعالي
دينك السمح فطرة الله عادت
أنت إشراقة الوجود تبدت
أنت أنشودة السماء ولحن
أنت فى الخلد والفراديس معنى
أنت رمز الوفاء للمثل الأع
لم تكن قبلك الحياة وربى
وبأنوارك المشعة أضحت
لم تكن قبلك الحقيقة إلّا
أنت فجّرتها ينابيع علم
إذ أزحت النقباب عن كل سرّ
ثم أطلقناها لترتاد أفقا
كم بفضل العقول حقق كشف
بارك الله (مولدا) لمعان
أي وزن لحكمة من حكيم
أنت أعطيت من سلوكك دين
كم تلقيت من أذى واعتساف ؟

لم يصب قلبك الكبير بضيق
قد وسعت الورى بصفح جميل
فتربعت في القلوب مقاما
من ترى يملك البلاد ويبقى
يحمل الكل يجعل التمرقوتا
وهو من هو في جلال وحكم
من ترى غير (أحمد) الفذيلفى
يستوي عنده النعيم وضيق
ها هنا يكمن الخلود لدين
إنها المعجزات يقصر عنها
كم تخطى الزمان وهو دؤوب
وتخطى خطى الزمان برفق
لم يزل دينك القديم جديدا
صارع الهول والحوادث صلبا
أزمات عنيفة الوقع مرت
ليس يفنى النصار حرق بنار
إيه يا أمة الخلود لماذا
ليت شعري كم ذا يدوم هجوع؟
هل فتننا بيهرج وطلاء؟
ونبذنا ترائنا بإزدراء
أفقر القلب والعزائم خارت
ثمّ لذنّا بكلّ عذر سخيّف
ونسبنا لديننا كلّ نقص
فأفيقوا - فديتكم - من سبات

في ظروف شنيعة الأهوال
إذ تناسيت ماضي الأنذال
لم ينل بعضه عظيم الرجال
مثلا كان في ظروف النضال؟
يتغاضى عن محرجات العيال
وإتساع السلطان و الأموال
وهو بالفقر في جميل المحال
شاكرا في المتاح من كل حال
دائم الدفع دائم الإتصال
كلّ شهم وسيد مفضال
من تشايع أمعنت في الزوال
دين (طه) على مدى الأجيال
لم يزل سابقا بكلّ مجال
ومضى هادئا شديد المحال
ما أراها إلا كمثّل الصقال
لا ولا الدفن في بطون الرمال
فاتك الركب؟ أفصحى بالمقال
هل أصيب اتصالنا بانفصال؟
وإتشينا بفارح الأمال؟
في عقوق وقحة وابتذال؟
وأصيب الذكاء بالاحمال
شأن أهل المرء أهل الجدال
ورمينّا دعائه بالخبا
ارجعوا - ويحكم - بدون مطال



احتفلوا بالحبیب المصطفی ﷺ

جمع وترتيب: أ. جمعة العكرمي الدرويش

قال الشيخ الزيتوني الأزهري (المتوفى سنة 1378 للهجرة) في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يديرها، في حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ما نصه: «أما احتفالنا بذكرى مولده فإننا لم نفعل غير ما فعله حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث كان يجلس إليه الناس ويسمعهم مديح رسول الله ﷺ في شعر، ولم نفعل غير ما فعل علي بن أبي طالب أو البراء بن عازب أو أنس بن مالك رضي الله عنهم حين يتحدثون عن محاسن رسول الله الخلقية والخلقية في جماعة» - (مجلة الهداية الإسلامية ج 11 م 2).

* قال فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله عن فضل المولد النبوي الشريف: «إن ما يملأ قلوب المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من ناموس المحبة العلوي وما يهز نفوسهم من الفيض النوراني المتدفق جمالاً وجلالاً ليأتي إليهم محملاً من ذكريات القرون الخالية بأريج طيب ينم عما كان لأسلافهم الكرام من العناية بذلك اليوم التاريخي الأعظم وما ابتكروا لإظهار التعلق به وإعلان تمجيده من مظاهر الاحتفالات فتطلع النفوس إلى استقصاء خبر تلك الأيام الزهراء والليالي الغراء اذ المسلمون ملوكاً وسوقة يتسابقون إلى الوفاء بالمستطاع من حقوق ذلك اليوم السعيد مقتطف من كتابه «ومضات فكر» - ص 199

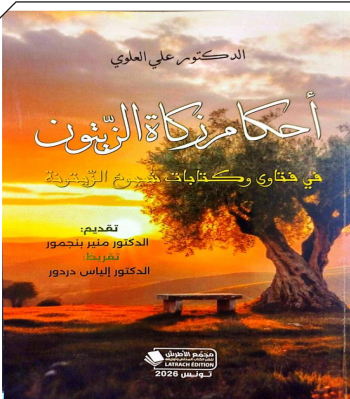
(1) فتوى الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور:

«... فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْمَوَاقِيتِ الْمَحْدُودَةِ اعْتِبَارًا يُشْبِهُ اعْتِبَارَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمُتَجَدِّدِ، وَإِنَّمَا هَذَا اعْتِبَارٌ لِلتَّذْكِيرِ بِالْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ

اللَّهُ ﴿إِبْرَاهِيمَ: 5﴾، فَخَلَعَ اللَّهُ عَلَى الْمَوَاقِيتِ الَّتِي قَارَنَهَا شَيْءٌ عَظِيمٌ فِي الْفَضْلِ أَنْ جَعَلَ لِتِلْكَ الْمَوَاقِيتِ فَضْلاً مُسْتَمِراً تَنْوِيهَا بِكُونِهَا تَذْكَرَةً لِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لِأَجْلِهِ سُنَّةَ الْهَدْيِ فِي الْحَجِّ، لِأَنَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَلَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَأَظْهَرَ عَزَمَ إِبْرَاهِيمَ وَطَاعَتَهُ رَبَّهُ وَمِنْهُ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ تَعْظِيمَ الْيَوْمِ الْمَوَافِقِ لِيَوْمِ وَلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَجِيءُ مِنْ هَذَا إِكْرَامُ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ...» (مِنْ كِتَابِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ ج 2 ص 172 ط. الدَّارِ التَّوْنُسِيَّةِ لِلنَّشْرِ)

(2) - فتوى الشيخ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ حُسَيْنٍ:

«... إِنَّا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَسَبِّحِينَ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ الْمُنْعَبِطِينَ بَانْنَا مِنْ أَهْلِ الْإِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ لِأَنْ يُذَكَّرَ بَعْضُنَا بِأَنْ سَعَادَتَنَا وَهَنَاءَنَا وَكَرَامَتَنَا وَقُوَّتَنَا وَصِدْقَ انْتِسَابِنَا إِلَى صَاحِبِ الذِّكْرِ (ذِكْرَى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ)، كُلُّ ذَلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْأَخْذِ بِرِسَالَتِهِ... عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَفِلَ الْيَوْمَ بِإِحْيَاءِ الذِّكْرِ فِي عُمُومِهَا وَشُمُولِهَا، وَأَوَّلُ الْمَظَاهِرِ فِي إِحْيَاءِ هَذِهِ الذِّكْرِ أَنْ نَتَّخِذَ الْأَسْبَابَ لِلْعَمَلِ بِهَا...» (مِنْ مَوْسُوعَةِ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ حُسَيْنٍ ص 4954 - ط. دَارِ النُّوَادِرِ سُورِيَا)



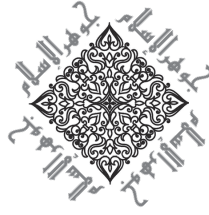
كتاب: «أحكام زكاة الزيتون في فتاوى وكتابات شيخ الزيتونة» والصادر عن مجمع الأُطرش لنشر الكتاب المختص، تأليف الدكتور علي العلوي، من الكتب ذات القيمة العلمية، حيث يحتوي إجابات كثيرة لأسئلة تتعلق بعبادة الزكاة والتي قرعها الله تعالى في القرآن الكريم بالصلاة في عدة مواضع.

مألُكو أشجار الزيتون قد يطرحون الكثير من الأسئلة، مثل:

- (1) ما هي شروط أداء زكاة الزيتون؟
- (2) ومتى يتحقق شرط بلوغ النصار؟
- (3) وبأي طريقة تُؤدَّى الزكاة من الزيتون؟ أم من خب أم من الزيت؟
- (4) وأيّ التفقات والمصاريف التي تُطرح قبل إخراج زكاة الزيتون؟ أم تُطرح كل المصاريف والتفقات بما في ذلك نفقات التسميد والتشذيب والمداواة ونقل الزيتون إلى المعاصر ومصاريف العصر وتوزيع أنصبة الفقراء والمساكين؟

سيجد القارئ في هذا الكتاب الأجوبة عن هذه الأسئلة وهي أجوبة شيوخ الزيتونة كالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والشيخ محمد العزيز جعيط ونحله الشيخ كمال الدين و الإمام ابن عرفة وغيرهم.

إنه كتاب جديد طبع هذه السنة (2026م)



الإحتفال بالمولد النبوي أمر مُستحسن

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن المحفوظ بن بية
رئيس منتدى أبوظبي للسلم - رئيس مجلس الامارات للإفتاء الشرعي

«أن المولد النبوي الشريف هو حدث كبير و عادة تحتفي الامم بأمجادها و الاحداث العظيمة في تاريخها و لا يوجد أكبر أعظم من مولده ﷺ وهو نعمة أنعم الله بها على عباده وهو رحمة أيضا كما قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] والاحتفال بهذه الرحمة والاحتفاء بها من طبيعة الأشياء و لا يوجد نص يخالف ذلك من كتاب ولا سنة . و ان كان بعض العلماء رأى غير ذلك . بسبب مسألة الاختلاف في تقسيم البدعة».

«ورأينا أنه عمل محمود . وهذا - أي الإحتفال - الذي عليه الآن أكثر أقطار الأمة الاسلامية . ومن هذا المنطلق يحتفى به ويحتفل بالاجتماع لذكر مناقبه و الصلاة والسلام عليه . مالم يكن في المجالس أمر غير محمود.»
وهذا هو رأينا فيه وإن كنا لا نخاصم من يقول بغير هذا الرأي . وقد سبقنا كثير من العلماء والذي نختاره أنه من البدع المستحسنة .

و كلما شهد الشرع باعتباره فإنه لا يعتبر من البدع المنكرة . و الاحتفاء بالمولد شهد الشرع بالاحتفاء به فقد قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]

التعزيز هو التوقير و التعظيم و من جملة تعظيمه الاحتراف بمولده و أن يتذاكر الناس سيرته العطرة حتى يقتدوا بها و يتأسوا بها. فهذا امر مستحسن إن شاء الله و من عمل به محبة لرسول الله ﷺ فقد عمل بخير.

وهنا نص فتوى معالي العلامة عبدالله بن بيه - رئيس مجلس الإمارات للإفتاء
السؤال : ما حكم الاحتفال بعيد المولد النبوي وما يترتب عليه من أعمال كعمرة المولد النبوي وزيادة الطاعات فيه؟
وإذا كان ذلك بدعة فما قولنا في كلام ابن حجر رحمه الله في إقراره لتلك الاحتفالات؟

الجواب

هذه المسألة - عيد المولد النبوي - مسألة اختلف العلماء فيها. فمن قائل بأنها بدعة مكروهة حتى وصل البعض إلى التحريم. ومن قائل إنها بدعة مستحسنة. والخلاف يرجع في الأصل إلى تقسيم البدعة فهناك من قال بالبدعة المستحسنة وهم الشافعية وعلى رأسهم العز بن عبد السلام والقرافي - وهو مالكي - لكنه قال بهذه المسألة وفصلها تفصيلاً طويلاً. جعل ما يشمل دليل النذب ودليل الاستحباب مستحباً وما يشمل دليل الوجوب يكون واجباً في البدعة وما يشمل دليل الكراهة يكون مكروهاً، إلى آخره.

فجعل البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام. هذا التقسيم أيضاً لم يقبله بعض العلماء. فقالوا: إن البدعة إذا أطلقت فهي بدعة مستقبحة وجعلوا قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه في صلاة التراويح بدعة لفظية.

وهذا ما يقوله تقي الدين بن تيمية والشاطبي في كتابه (الاعتصام). وكثير من العلماء من المالكية والحنابلة يتجهون هذا الاتجاه.

وقضية المولد ألف فيها بعض العلماء كالسيوطي تأييداً وألف فيها بعض العلماء تنقيداً، فلا أرى أن نطيل فيها القول وأن نكثر فيها الجدل.

فحاصل الأمر؛ أن من احتفل به يسرد سيرته ﷺ والتذكر بمناقبه العطرة احتفالاً غير ملتبس بأي فعل مكروه من الناحية الشرعية وليس ملتبساً بنية السنة ولا بنية الوجوب فإذا فعله بهذه الشروط التي ذكرت؛ ولم يلبس به شيء منافع للشرع، حباً للنبي ﷺ ففعله لا بأس به - إن شاء الله - وهو مأجور فقد ذكر شيخ الإسلام ابن

تَيْمِيَّةً، قَالَ: إِنَّهُ مَأْجُورٌ عَلَى نِيَّتِهِ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي (اِقْتِضَاءِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ) أَمَّا مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ أَيْضاً يُرِيدُ بِذَلِكَ مُوَافَقَةَ السُّنَّةِ وَخَوْفاً مِنَ الْبِدْعَةِ فَهَذَا أَيْضاً يُؤْجَرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَا مَرُ لَيْسَ كَبِيراً وَلَيْسَ مُهَوِّلاً وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَزِيدَ فِيهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ.

فَهُنَاكَ بَعْضُ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَحْتَفِلُ بِالْمَوْلِدِ وَتَقُومُ بِبَعْضِ الطَّاعَاتِ فِي الْأَيَّامِ الْمُفَضَّلَةِ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا بَيْنَ مَنْ كَرِهَهَا وَبَيْنَ مَنْ أَجَازَهَا كَمَا ذَكَرَ كُلُّ ذَلِكَ الزَّقَاقُ فِي مَنَهْجِهِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ الَّذِينَ أَفَاضُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَفِي تَفْصِيلِ الْبِدْعَةِ وَهَلِ الْمُحَدَّثَاتُ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ أَوْ أَنْهَا تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْقِرَافِي، فَالْمَسْأَلَةُ فِيهَا خِلَافٌ. وَنَظَرْنَا لِلْمُصَالِحَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُحَاوَلَةٍ تَحْجِيمِ هَذِهِ الْخِلَافَاتِ هِيَ دَائِماً نَظَرَةٌ مُيَسَّرَةٌ.

وَهَذَا التَّيْسِيرُ لَيْسَ مُنْطَلِقاً مِنْ فَرَاغٍ فَهُوَ تَيْسِيرٌ يَرْجِعُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ. فَانْطِلَاقاً مِنَ الْمَقَاصِدِ الْأَصْلِيَّةِ لِلشَّرْعِ؛ فَإِذَا وَجَدَ خِلَافٌ مُعْتَبَرٌ فِي مَسْأَلَةٍ رَاعَيْنَا ذَلِكَ الْخِلَافَ وَلَيْسَ ذَلِكَ تَمِيْعاً كَمَا يَزْعُمُ الْبَعْضُ وَلَيْسَ انْجِلَالاً.

بَلْ هُوَ مُرَاعَاةٌ لِخِلَافٍ مُنْضَبِطٍ بِأَدَلَّةٍ شَرْعِيَّةٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ فِي جَانِبٍ وَلَيْسَتْ مُفَنَّدَةٌ لِلْجَانِبِ الْآخَرِ تَفْنِيداً كَافِياً. فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ ظَوَاهِرٍ؛ عِبَارَةٌ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مَعْمُولاً بِهِ حَدَثَ عَمَلٍ بِهِ، الْبَعْضُ أَقَامَ الدَّلِيلَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ وَالْبَعْضُ الْآخَرَ نَفَى هَذَا الْعَمَلِ. فَنَقُولُ: كُلٌّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى خَيْرٍ إِذَا لَمْ يَلْبِسْ عَمَلَهُ بِظُلْمٍ وَيَلْبِسْ عَمَلَهُ بِنِيَّةٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

إِنَّ الْمَوْلِدَ - النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ فَاتِحَةَ فَصَلٍ مِنْ فُصُولِ التَّارِيخِ لَا بِمَعْنَاهِ الزَّمَنِيِّ فَحَسَبَ، بَلْ بِمَعْنَاهِ الْكُونِيِّ وَالرُّوحِيِّ، إِنَّهُ بَدَايَةُ الْهَدَايَةِ لِمِلْيَارَاتٍ مِنَ الْبَشَرِ كَانَ الرُّسُولُ الْخَاتَمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَبَباً فِي هِدَايَتِهِمْ إِلَى تَوْحِيدِ الْخَالِقِ وَالرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ.

إِنَّهُ مِلَادُ الرَّحْمَةِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وَمِلَادُ الْأَخْلَاقِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إِنَّا مَدْعُوونَ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْعَزِيزَةِ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَاقَتِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرَحْمَتِهِ بِالنَّاسِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ.

هُوَ النَّعْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلنَّاسِ أُرْسِلَتْ فَأَنْقَذَهُمُ وَالطَّائِحَاتُ تُطِيحُ

ها مولدُ المختارِ حانَ طُلوعُهُ * ذا فجرُهُ الميمونُ آنَ سطوعُهُ
فتلاأتْ أنوارُهُ وتدفقتْ * بشرًا وبُشرى فالزمانُ ربيعُهُ
إن غابَ عنا ذاتهُ فصفاةُ * تتلى فيدنو للنفوسِ شُسوعُهُ
بادرْ إلى ذكرى الحبيبِ بذكرِهِ * تلكَ المساجدُ والقبابُ ربوعُهُ
واسكُبْ مدامعَ مُهجةٍ مُشتاقَةٍ * فأقلُ ما يُهدي المُحبُّ دُموعُهُ
لا تقنعنْ بإشارةٍ وإشادةٍ * خيرُ القناعةِ للمحبِّ قُنعُهُ
واذكُرْ محاسنَ ليلةٍ لا يَنْقضي * إحسانها أفرادهُ وجُموعُهُ
منها استعارَ الليلُ بدرَ سماءِهِ * ما كُلُّ ليلٍ تستهلُّ شموعُهُ!
والمسكُ منها نَشَرُهُ وأريجُهُ * منها يفوحُ صَوارُهُ وسَطوعُهُ

شعر : المحب الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه

نقشة

في كل مولد احترق لا ولد من جديد ...

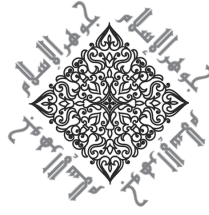
كتب صالح الحاجة

في كل مولد تشتعل بداخلي أمنية ما فارقتني حيناً إلا لتعود أحياناً بقوة العاصفة..
أمنية نبتت بداخلي منذ أن بدأت حياتي فصارت وردة ثم نخلة ثم نهراً يجري
فيروي عطشي الروحي .. أمنية قديمة كالشعلة على مر الأيام ومرة في العام تصير
كالهريق ... حريق سنوي يحرقني فأنجو منه في كل مرة وأخرج منه وقد تطهرت..
وقد نضجت ... وقد فتح الله بصري وبصيرتي فأخرج من الظلمات إلى النور ... هل
تعرفون ما هي هذه الأمنية ؟

لطالما تمنيت لو ولدت في عصر محمد العظيم ... محمد النبي المختار
... مؤسس الأمة ... الهادي إلى الصراط المستقيم .. تمنيت لو كنت من رجاله ..
لو كنت من أصحابه ... لو كنت في طليعة أتباعه .. احبك يا رسول الله ...

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمدحك بيد أن لي انتساباً
فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لم يتخذك له كتاباً
مدحتُ المالكين فردتُ قدراً وحين مدحتك اقتدت السحاباً

احمد شوقي



المولد النبوي في الغرب الإسلامي: اجتهاد سبتي لا صدى فاطمي

بقلم : الدكتور محبوب ولد بوية

أول من احتفل بالمولد في الغرب الإسلامي هو الفقيه أبو العباس العزفي المتوفى سنة 633 هجري - 1236 م، في أواخر دولة الموحدين فقد ألف كتابه «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» وقد بين فيه الأسباب التي دعت به إلى تأليفه وإلى الدعوة إلى الاحتفال، حيث شكّا من ما شاهده في الأندلس وبعض المدن المغربية كسبته من التأثير بالنصارى والعناية بمولد المسيح عليه السلام ومولد يحيى عليه السلام (العنصرة) وغيرها من المواسم الدينية المسيحية... فقال: «فأمنت النظر، وأعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع ويدفع في صدر هذا المنكر، ولو بأمر مباح، ليس على فاعله جناح، بما تطمئن إليه نفوسهم...، فعلم الله النية واطلع على الطوية، فألهمني سبحانه أن أنبّههم على أمر إذا تقرّر لديهم قامت الحجة عليهم ديناً ودنيا، وانقطع العذر إذا تعوضوا منه أحسن عوض، يقوم به الشفاء ويطعن به المرض، فنبّههم على ميلاد نبيهم المصطفى، سيد ولد آدم، خاتم النبيين ﷺ». فبان من هذا أن سياق نشأة هذه العادة الشريفة سياق اجتهادي محمود، والعزفي هذا هو الذي دعا إليه، وليس في كلامه إشارة إلى استلزامه من الفاطميين ولا حتى من ما جرى به العمل في إربل. ولما ولي ابن العزفي إمارة سبتة حقق رغبة والده، وعمل بالمولد، ثم تبعه آخر ملوك الموحدين المرتضى ثم من بعده المرينيون والسعديون الذين اهتموا به اهتماماً كبيراً. ويجدر بالذكر أن المرينيين هم الذين أضافوا الاحتفال باليوم السابع، أضافه السلطان أبو سعيد المريني، راعي العلوم وباني المدارس. دفين شالة. وقد ظلت هذه العادة متبعة في المناطق الشرقية من موريتانيا.



ما أشد حاجة عالم اليوم إلى هدي محمد ﷺ لإنقاذه مما غرق فيه

بقلم : فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر

يمر اليوم على ميلاد رسول الإنسانية ﷺ ما يقرب من خمسة عشر قرناً من الزمان، ولا يزال عالمنا المعاصر - شرقاً وغرباً - يعيش إلى ضوء مصباحه الذي أشرق على الوجود فأضاءه بعد ليل طويل حالك الظلمات، بدت فيه شمس الحضارة الإنسانية آنئذ وكأنها تؤذن بغروب لا شروق بعده؛ فقد كان العالم في ذلكم الوقت في أمس الحاجة إلى ثقافة جديدة، ونظام مختلف ينهي ثقافة الطغيان، ويحل محل النظم التي كانت تسند ظهرها إلى القوة والاستبداد وقرابة الدم ومنطق القبائل والعشائر، «ثم شاء الله تعالى أن تأتي هذه الثقافة البديلة من جزيرة العرب، وأن تجد هذه الثقافة في مبدأ التوحيد، ولغة الوحي النبوي أساساً لوحدة العالم كله»⁽¹⁾.

إن هذا النور المحمدي قد ظهر والدنيا بأسرها تتقاسمها حضارتان متصارعتان، كلتاهما حرب للأخرى، هما: حضارة الأكاسرة في الشرق، وحضارة القياصرة في الغرب، وكانت العلاقة بينهما تحكمها شرائع وأعراق رومانية، تقول: «من جاورك فهو عدوك، تخضعه أو يخضعك، وتبدأ بحربه متى استطعت، أو يبدؤك هو بالحرب متى استطاع.. وكانت هذه الشريعة على أشدها في معاملة الدولتين لبلاد المسلمين»، والحديث عن موقف دولة الإسلام الوليدة من هاتين الدولتين الكبيرتين، وإن كان مما يتجاوز حدود هذه الكلمة زماناً ومكاناً، فقد يغني عن كثير منه ما هو مسجل في

(1) كلمة فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف 1448 هـ / 2026 م.

تاريخ القرون الوسطى عن هذا الصراع، وكيف أن هاتين الدولتين هزمتا معا أمام الدولة الوليدة، وفي بضع سنين، فيما يؤكد الأستاذ العقاد.

وما أشبه اليوم بالأمس، وما أشبه عالمنا المعاصر - اليوم - بعالم الأمس يوم بعث هذا النبي الكريم، بل ما أشد حاجة عالم اليوم إلى هدي محمد ﷺ لإنقاذه مما غرق فيه من حمأة العلل والأمراض النفسية والاجتماعية والآفات الخلقية، وما ركن إليه من سياسات القهر والظلم والبطش بالفقير والضعيف، وما خلفه كل ذلك من أزمات اقتصادية واضطرابات سياسية، ومن توترات وصراعات، ومن منغصات العيش ومكآره الحياة، وأخطر ما يواجه الإنسان في هذا العصر، ويتربص به الدوائر، هو فقدان قيمة الرحمة والتراحم بين البشر، وهي قيمة اتصف الله تعالى بها، ومدح بها أنبياءه، وأتمها في النبي الخاتم، وعُدَّت من أخص خصائصه، وبها جاء ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على خلق هذا الرسول، ووصفه هذا الخلق النبوي بأنه خلق عظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وقد وقف العلماء طويلا على أبواب هذه الآية، واستخلصوا منها دروسا بالغة العمق في دلالتها على تفرد هذا النبي بأخلاق عالية القدر لم تعرف لغيره من سائر البشر.

و أول ما فطنه العلماء من وحي هذه الآية أن عظمة أخلاقه - ﷺ - عظمة واسعة مطلقة لا تعرف الحدود ولا القيود، وأن أخلاقه واسعة كذلك بغير حدود ولا قيود، ضرورة أن سعة الصفة تقتضي - حتما - سعة ما هي صفة له، وقد وصفته زوجته السيدة عائشة أم المؤمنين - وهي أخبر الناس به - حين سئلت عن خلقه؛ فقالت: «كان خلقه القرآن»، وفي رواية: «كان خلقه القرآن، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه»، وهذا يعني أنه ﷺ كان يتصف بكل صفة حميدة ذكرت في القرآن الكريم، وأنه خلا من كل صفة ذميمة حذر منها القرآن، «وأن أوصاف خلقه العظيم تشبه معاني القرآن في سعتها وشمولها»، وهذا هو المقصود من «غاية الاتساع»، ومن هنا وسعت أخلاقه جميع أخلاق بني آدم، بل جميع أجناس مخلوقات العالم، وانطلاقا من سعة هذه العظمة يقرر العلماء أن الله تعالى أرسل محمدا - صلوات الله وسلامه عليه - إلى العرب والعجم والإنس والجن وسائر الأمم، «موضحا أن بعضهم ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ يذهب إلى أنه - ﷺ - أرسل إلى الملائكة وغيرهم من سائر الخلق، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

على أن لنا فيما تعانيه البشرية اليوم من مسلسل الحروب والدماء والأشلاء، وهدم البيوت والمستشفيات على الأطفال والنساء والمرضى، وخلف الوعود

ونقض العهود، لعبرة ومندوحة وسعة، والمقارنة صعبة المقارنة بين بشاعة حروب القرن الواحد والعشرين، وعدالة الحروب التي كان يقودها صاحب هذه الذكرى العطرة، وقادها من بعده خلفاؤه وأنصاره، فهذه المقارنة - فوق أنها تستعصي على التلخيص والإيجاز - هي من باب النقيضين اللذين لا يجتمعان في أمر مشترك بينهما بحال من الأحوال.

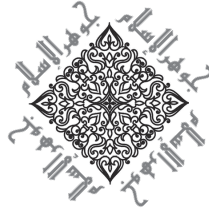
و أول ما يحرص العلماء على بيانه في الحديث عن أخلاقيات الحرب في الإسلام هو أن الباعث على القتال في الإسلام ليس هو حمل الناس على اعتناق هذا الدين، ولا حملهم على أن يتبعوا مذهباً اجتماعياً أو اقتصادياً معيناً، وإنما الباعث على القتال هو: دفع العدوان وردّه قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194] وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وقد حدث أن شخصاً أراد أن يكره ابنه على اعتناق الإسلام، فهناه النبي ﷺ ومنعه من ذلك، وجاءت امرأة غير مسلمة إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تسأله حاجة لها، فدعاها إلى الإسلام فأبت، فانتبه سريعا إلى الآية التي تحرم الإكراه على الدين، وخشي أن يكون من الخارجين عليها؛ فاتجه إلى الله تعالى معتذرا وهو يقول: «اللهم إني أرشدت ولم أكره».

قال النبي محمد ﷺ لمعاذ: «لا تقاتلوهم حتى تدعوهم؛ فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإن بدأوكم فلا تقتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا، ثم أروهم ذلك القتل وقلوا لهم: هل إلى خير من هذا سبيل؟ فلأن يهدي الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»، وقد ذهب المالكية والأحناف إلى: «وجوب الانتظار ثلاثة أيام بعد دعوتهم للإسلام، وألا تبدأ المواجهة قبل اليوم الرابع»، رجاء أن يقبلوا الإسلام أو يجنحوا إلى معاهدة السلم أو الصلح، وأصل ذلك كله حديث ابن عباس رضي الله عنه: «ما قاتل رسول الله ﷺ قوما قط إلا دعاهم إلى الإسلام»، ومما يقف له المتأمل في فقه هذه الشريعة إجلالا وإكبارا ما تقرره في أحكامها من حرمة الإقدام على قتال من لم تبلغهم دعوة الإسلام، وعلى نحو يبين لهم محاسن هذا الدين وما يضمنه للناس من حقوق العدالة والمساواة والحياة الطيبة: عقيدة وشريعة وأخلاقا، وبعبارة أخرى: حرمة المباغته والأخذ على غرة قبل أن يندروا ويدعوا إلى الإسلام دعوة كافية في التعريف به، أو يدعوا إلى معاهدة سلام.

وإذا بدأ القتال، فهذا نصوص قاطعة تطالب قادة جيوش المسلمين باحترام حقوق الضعفاء ممن لا يتصور منهم العدوان وحمل السلاح، فيحرم التعرض للنساء بالأذى أو بالقتل، وكذلك الأطفال يحرم قتلهم، كائنة ما كانت قسوة هذا العدو في قتال المسلمين، كما يحرم قتل الشيوخ من المسنين، وقتل الرهبان واللائذين بالكنائس والمعابد ودور العبادة، وقتل الجرحى والمرضى والزمنى، وهم من طال عليهم المرض، كما يحرم قتل المجانين والمكفوفين والزراع، وكذلك يحرم قتل الدواب والحيوانات، اللهم إلا إذا ذبحت بنية الأكل، فيباح للمنفعة، ويقدر ذلك بقدر الحاجة، ويذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك في قوله: «لا يحل عقر شيء من حيواناتهم البتة، لا الإبل ولا البقر ولا الغنم ولا الخيل ولا الخنازير».

وقد ذهب من قبل إلى أبعد - مما ذهب إليه ابن حزم - في تأكيد شريعة الإسلام على صيانة الدماء وحرمة سفكها، وهو يقرر أنه: لو هجم جيش المسلمين على العدو وباغتهم قبل دعوتهم للإسلام وأوقع فيهم قتلى، فإن الحكم الشرعي هنا هو: وجوب دية هؤلاء القتلى على من قتلهم من جيش المسلمين، وكذلك يحرم التمثيل بجثث العدو، أخذاً من نهيه ﷺ عن ذلك وتحذيره من هذه الجريمة النكراء، وذلك في قوله: «ياكم والمثلة»، هذا؛ ويقرر العلماء ثبوت حرمة التمثيل بجثث العدو، حتى لو أقدم العدو على التمثيل بجثث شهداء المسلمين، وكل ما أشرنا إليه في كلمتنا ليس هو كل ما هنالك من فقه الحرب في شريعة الإسلام، فهناك الكثير من الأحكام التي تضبط مسيرة الجهاد في سبيل الله قبل القتال «وأثناءه» وبعد انتهائه، وبخاصة: فقه المعاهدات، وفقه الأمان، وعقد الصلح، وأحكام الأسرى، وغير ذلك مما حفلت به تشريعات الإسلام، واستندت فيه إلى أعمال قيم الرحمة والعدل والإحسان، وتطبيقاتها في كل كبيرة وصغيرة وشاردة وواردة من هذه الأحكام.

والمقابلة بين حروب الأمم وحروب اليوم ليست مقارنة بين حروب الإسلام وحروب حضارة القرن الواحد والعشرين، بقدر ما هي تعبير عن حاجة العالم اليوم إلى منقذ، وإن شئت فقل: إلى طوق نجاة ينجيه من المزيد من الغرق في مجرة الظلمات، وأن هذا الطوق هو استذكار سيرة نبي الإنسانية في يوم مولده ﷺ، والاستضاءة بما أرسله الله به من القيم الإنسانية التي نصح بها أمته، ومن ورائها سائر الأمم، وأودعها جوامع كلمه وحكمه في قوله صلوات الله وسلامه عليه: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك».



رسالة إلى دعائنا الأحباب في قارتنا الحبيبة

بقلم : أ.د. قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي جدة

حقاً، إنَّ هذا اليوم المبارك من أيام الله التي ينبغي أن يُذكر بها المؤمنون، ويُنبه إليها الغافلون، ويُعلم الناس شأنها، ويُعرف الجاهلون قدرها ومكانتها. إي وربي، إنَّه اليومُ الأعزُّ الذي لم يشهد العالمُ مثله، ولن يشهد؛ يومٌ أشرقت بمولد صاحبه أنوارُ الهداية، وانقشعت برسالته ظلماتُ الجاهلية، واستنارت به سُبُلُ البشرية، وأشرقت الأرض بنور خاتم الأنبياء والمرسلين.

إنَّ شهر ربيع الأول، أتى كان تاريخُ مولده ﷺ فيه، سيظلُّ شهراً عزيزاً على قلوب المحبين؛ فقد اتفق أهل السير على أن مولده ﷺ كان فيه، وإن اختلفوا في تعيين يومه. إي ورب الكعبة. ما كان لاختلافهم في يوم مولده ليحجب عنا عظمة الحدث، ولا ليصرفنا عن جوهر المناسبة؛ فليس الشأن في رقم اليوم، وإنما الشأن فيمن وُلد فيه، وليس الاعتبار بتعيين التاريخ، وإنما الاعتبار باستحضار النعمة التي أشرقت بها الدنيا بمولد خير البرية ﷺ. فطوبى لربيعٍ أطلَّ فيه على الوجود سيدُ ولد آدم، ورحمةُ الله للعالمين. !!

* دعائنا الأحباب في قارتنا الحبيبة، أناشدكم بالله أن تغتنموا شهر ربيع الأول كلّهُ، وهذه المناسبة خاصة، وكلَّ مناسبة سانحة، في مساجدكم ومراكزكم، ومن على منابركم، وعبر مواقعكم وصفحاتكم العنكبوتية في الفضاء الإلكتروني؛ فأكثروا من

الصلاة والسلام على خير الأنام، وعرفوا الناس، كل الناس، بسيد ولد آدم، وإمام المرسلين، وقدوة المتقين.

* ولا تُقلقنكم أقاويلُ المبْطِطين، المغرمين بالخلط بين المقاصد والوسائل، وبين مراتب الأحكام ومناطات التنزيل، ولا تُهدروا وقتاً، أي وقت، في جدلٍ عقيم حول مشروعية الاحتفال والاحتفاء بمولد خير الوري عليه السلام. احتفلوا به، واحتفلوا بسيرته، وأحيوا شمائله، وانشروا هديه، وأكثرُوا من الصلاة والسلام عليه؛ فلن تزيدكم اعتراضاتهم إلا ثباتاً، ولن تنالكم أقاويلهم إلا خبالاً!

* وعَاظَنَا الأكارم، أهيب بكم أن تملؤوا المنابر والمحاريب في الآفاق ترديداً وترتُّماً بالمدائح النبوية الخالدة التي صدح بها شعراءُ رسول الله صلى الله عليه وآله: حَسَّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير؛ رضي الله عنهم، وسار على نهجهم من بعدهم أئمةُ المديح النبوي، وفي طليعتهم الإمام شرف الدين البوصيري، صاحب البردة، وشاعر أفريقيا إبراهيم نياس الكولخي، صاحب قصيدة «طبيبي قريب هل سقامي يسمع»، وأمير الشعراء أحمد شوقي، وقصيدته الهمزية النبوية، رحمهم الله.

* ردّدوا أشعارهم التي عطّرت القرون بعبق المحبة المحمدية، وألهبت القلوب شوقاً إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وتعلّقاً به، وأيقظت في النفوس معاني الوفاء والاقتداء. ودعوا جانباً مناكفات المتفكّهة ومناوشات الأصوليين؛ فالمقام مقامُ محبة، والزمان زمانُ وفاء، والمناسبة مناسبةٌ تذكيرٍ بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله.

* خطباءنا الأجلاء، أناشدكم بالله أن تخصّصوا شهر ربيع الأول كلّهُ لنشر محبته صلى الله عليه وآله في القلوب والنفوس، وتعريف الأجيال بسيرته العطرة، وشمائله الزكية، وهديه القيم، وأخلاقه العظيمة؛ حدّثوهم عن رحمته وعدله، وعن حلمه ورفقه، وعن تواضعه ووفائه، وعن جوده وشجاعته، وعن عبادته وإنابته، وعن سيرته التي جسّدت أسمى معاني الكمال البشري.

* ولا تلقوا بالاً بالمبدّعة وضحاياهم، ولا تلتفتوا أبداً إلى المؤثّمة ومقلديهم؛ دعوهم يبدّعوا كيفما شاؤوا، واتركوهم يؤثّموا أتى أرادوا؛ فإن الله موجركم ومشيكم

على التذكير والتنبيه، والتعريف والتعليم والتفهيم بخير خلقه، وسيد رسله، وحبیب رب العالمين؛ طبّ القلوب ودوائها، ونور الأبصار وشفائها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

فداؤه أبي وأمي، ونفسي وأهلي، وأحبتني، وكلُّ ما أملك!!

* وأخيرًا.. تأملوا معي ولو ثانية من وقتكم المبارك في قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في مدحه ﷺ!

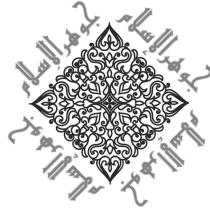
رحمك الله يا أمير الشعراء.. فما أروع ما صدحت به في مولد الهدى، وما أحكم مبناه، وما أبلغ لفظه، وما أوسع معناه، وما أخلد صداه! كأنما جمعت في هذه الأبيات نور المولد، وجلال النبوة، وعظمة الرسالة، ومكارم الأخلاق، فقلت:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ / وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ / الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ
حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ / وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ
الْعَصْمَاءُ / وَحَدِيقَةُ الْفُرْقَانِ ضَاحِكَةٌ الرُّبَا بِالْتُرْجُمَانِ شَدِيدَةٌ عَنَاءُ / وَالْوَحْيُ يَقْطُرُ
سَلْسَلًا مِنْ سَلْسَلِ وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ الْبَدِيعِ رُؤَا / نَظُمَتِ أَسَامِي الرُّسُلِ فَهِيَ صَحِيفَةٌ فِي
اللَّوْحِ وَاسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْرَاءُ / اسْمُ الْجَلَالَةِ فِي بَدِيعِ حُرُوفِهِ أَلْفٌ هُنَالِكَ وَاسْمُ طَهَ الْبَاءُ /
يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَّةً مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى بِكَ جَاوُوا / بَيْتَ النَّبِيِّنَ الَّذِي
لَا يَلْتَقِي إِلَّا الْخَنَائِفُ فِيهِ وَالْخُنَفَاءُ / خَيْرُ الْأَبْوَةِ حَازَهُمْ لَكَ أَدَمٌ دُونَ الْأَنَامِ وَأَحْرَزَتْ
حَوَاءُ / هُمْ أَدْرَكُوا عِزَّ النُّبُوَّةِ وَانْتَهَتْ فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ / خُلِقْتَ لِبَيْتِكَ وَهُوَ
مَخْلُوقٌ لَهَا إِنَّ الْعِظَائِمَ كُفُوها الْعُظْمَاءُ بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَرُيِّنَتْ وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَ
بِكَ الْغُبْرَاءُ / وَبَدَأَ مُحْيَاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ حَقٌّ وَغُرَّتُهُ هُدًى وَحَيَاءُ / وَعَلَيْهِ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ
رَوْنٌ وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهْدِيهِ سِيْمَاءُ / أَثْنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ وَتَهَلَّلَتْ وَاهْتَرَّتْ
الْعَذْرَاءُ / يَوْمَ يَتِيهِ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ / الْحَقُّ عَالِي الرُّكْنِ فِيهِ
مُظَفَّرٌ فِي الْمُلْكِ لَا يَعْلُو عَلَيْهِ لَوَاءُ / ذُعِرَتْ غُرُوشُ الظَّالِمِينَ فَزَلَزِلَتْ وَعَلَتْ عَلَى
تِيْجَانِهِمْ أَصْدَاءُ / وَالنَّارُ خَاوِيَةُ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ حَمَدَتْ دَوَائِبُهَا وَغَاضَ الْمَاءُ /
وَالْأَيُّ تَتَرَى وَالْخَوَارِقُ جَمَّةٌ جَبْرِيلُ رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءُ / نِعَمَ الْيَتِيمِ بَدَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ
وَالْيَتِيمُ رَزَقٌ بَعْضُهُ وَذَكَاءُ / فِي الْمَهْدِ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِرَجَائِهِ وَبِقَصْدِهِ تُسْتَدْفَعُ الْبِأْسَاءُ /

بِسْوَ الْأَمَانَةِ فِي الصِّبَا وَالصِّدْقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْأَمْنَاءِ / يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ
 مَا تَهْوَى الْعُلَا مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكِبْرَاءُ / لَوْ لَمْ تُقِمْ دِينًا لَقَامَتْ وَحْدَهَا دِينًا تُضِيءُ
 بِنُورِهِ الْأَنْوَاءُ / زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ يُغْرَى بِهِنَ وَيُولَعُ الْكِرْمَاءُ أَمَّا الْجَمَالُ
 فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ وَمَلَا حَهُ الصِّدِّيقِ مِنْكَ أَيَاءُ / وَالْحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الْوُجُوهِ وَخَيْرُهُ مَا
 أَوْتِيَ الْقَوَادُ وَالزُّعَمَاءُ / فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ
 / وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهَلَاءُ / وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمُّ أَوْ
 أَبُّ هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ / وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ فِي الْحَقِّ لَا ضِعْنُ
 وَلَا بَغْضَاءُ / وَإِذَا رَضِيتَ فَذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ وَرَضَى الْكَثِيرُ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءُ / وَإِذَا خَطَبْتَ
 فَلِلْمَنَابِرِ هَزَّةٌ تَعْرُو النَّدَى وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءُ / وَإِذَا قَضَيْتَ فَلَا إِرْتِيَابَ كَأَنَّمَا جَاءَ الْخُصُومَ
 مِنَ السَّمَاءِ قَضَاءُ / وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يَورِدَ وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصِرَ وَالْمُلُوكَ ظِمَاءُ / وَإِذَا
 أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ عَدَاءُ / وَإِذَا مَلَكَتِ النَّفْسَ قُتِمَتْ بِبِرِّهَا
 وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتِ يَدَاكَ الشَّاءُ / وَإِذَا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجٍ عَشْرَةٌ وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدُونُكَ الْآبَاءُ /
 وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ / وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ
 أَوْ أَعْطَيْتَهُ فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ / وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى الْعِدَا فَغَضَنْفَرٌ وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ
 النُّكْبَاءُ / وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلْسَفِيهِ مُدَارِيًّا حَتَّى يَضِيقَ بِعَرَضِكَ السُّفَهَاءُ / فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ
 سَطَاكَ مَهَابَةٌ وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ /

!!! مولد مبارك

أ.د. قطب مصطفى سانو



كتاب استنزال اللطائف الرضوانية

(لمحمد بن السكك المكناسي - ت. 1415/818

في شرح القصيدة المحمدية العرفانية

لسيدي علي بن وفاء الشاذلي الماكي - ت. 1399/807

من مخطوطة نادرة من مكتبة الإسكوريال/ إسبانيا رقم 384

بقلم : عبد الهادي النجار الشاذلي

والأستاذ : آرش أبوتراي همداني

تعرض الصفحات التالية القسم الأول من كتاب استنزال اللطائف الرضوانية بشرح القصيدة المحمدية العرفانية، لمؤلفه محمد بن السكك المكناسي (ت. 818/1415). وهذا الكتاب شرح للقصيدة المحمدية العرفانية للصوفي الشاذلي المصري الشهير، سيدي محمد بن علي الوفاء (ت. 807/1399). وهي قصيدة من أربعة عشر بيتاً في مدح رسول الله ﷺ والإحتفاء بالمحبة القلبية له. وكان الشارح، ابن السكك، عالماً فقيهاً مغرباً ذا كتب أخرى وذا صلات وثيقة بالطريقة الشاذلية. وتعود تلك الصلات في الغالب إلى انتسابه إلى سيدي محمد بن عبّاد الرندي (ت. 792/1390)، الذي كان من أوائل من عرف المغرب على الطريقة الشاذلية؛ بل إن ابن السكك من أوائل المؤلفين الذين تثبت كتاباتهم الإعراف بتعاليم الشاذلية وممارستها في المغرب.

كان سيدي علي بن الوفاء معاصراً لابن السكك، وكانت القصيدة قد تُلقيت في المغرب بوصفها أحد أحدث المنتجات الأدبية في نوع التصوف الحبي. وإذ نعدّ ابن السكك ممثلاً للذوق المغربي الأدبي في ذلك العصر، فيمكن القول بأن الجماعة الصوفية المغربية تدوّقت في القصيدة سموّاً أدبياً لم يسبق إليه، حيث يصفها ابن

السَّكَّاكُ بقوله: «إِنَّ أسلوبَ هذه الأبياتِ المشروحةِ الصادرةِ عن ذلك العارفِ يغلبُ على الظنِّ أنَّه ممَّا لم يُسبقْ إليه لحلاوته ووجازته، وبراعةِ تخلصه إلى المدح، وغرابةِ المطلع، ونبُلِ المقصد، وعرفانِ الخطاب، وانتقاءِ الأوصافِ الخاصَّةِ به - عليه السلام - التي لم يشاركه فيها مخلوقٌ لكمالِ انفرادِهِ بها.»

وقد تعرَّفَ ابنُ السَّكَّاكِ نفسه على هذه القصيدةِ عن طريقِ رفيقٍ له، كان يُشاركه مشاعره الروحيةَ وأشواقه وأفكاره، وهو الَّذي يتعمَّدُ ابنُ السَّكَّاكِ في كتابهِ إخفاءَ هويته ويكتفي أن يُشيرَ إليه بـ«أخ في الله». وإذ تأثَّرَ الرفيقانِ بسموِّ القصيدةِ، أخذَا يدرُسَانِها معاً، وكان الرفيقُ المجهولُ الهويَّةِ يُدلي بتعليقاتٍ موجزةٍ على كلِّ بيت. ثم حثَّ هذا الرفيقُ ابنَ السَّكَّاكِ على تدوينِ تلكِ التعليقاتِ، وتوسيعِها بإبداءِ انطباعاتِهِ الخاصَّةِ. وبينما كانت تعليقاتُ الرفيقِ تصدرُ في الغالبِ من منظورٍ أدبيٍّ، فضَّلَ ابنُ السَّكَّاكِ أن يركِّزَ على القضايا الروحيةِ أو اللاهوتيةِ أو الفلسفيةِ التي تناوَلَهَا الشاعرُ تصريحاً أو تلميحاً، أو التي يمكنُ أن يُشيرَ إليها من ناحيةٍ.

نجدُ ابنَ السَّكَّاكِ في مشروعه هذا بالغاً أسْمَى مراتبِ الظرافةِ والدقَّةِ، وأعلى درجاتِ الإبداع. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ نمطَ المشاركةِ - أي الإسهامَ المزدوجَ من جانبِ ابنِ السَّكَّاكِ ورفيقه - يجعلُ من كتابِ الاستنزالِ أحدَ الأمثلةِ النادرةِ في النقدِ الأدبيِّ الحوارِي التي وصلتْ إلينا عبرَ الزمنِ، غيرَ أنَّه ينبغي التنبيهُ إلى أنَّ المشروعَ كان، في نظرِ مؤلِّفه، عملاً إخلاصياً حبيباً موجَّهاً إلى النبيِّ ﷺ قبلَ أن يكونَ نشاطاً أدبياً.

ولتحقيقِ نصِّ كتابِ الاستنزالِ، اعتمدنا على المخطوطةِ رقم 384 المحفوظةِ في الإسكوريالِ بإسبانيا. غيرَ أنه تمَّ أيضاً الاستئناسُ بمخطوطتين أُخريَيْنِ بين الحينِ والآخر: إحداهما من دارِ الكتبِ الناصريةِ بتمكروت (رقم 1869)، والأخرى من خزانةِ القرويينِ بفاس (رقم 1557) - وكلتاهما بالمغرب. وفي الصفحاتِ التالية، سيجدُ القراءُ أولاً القصيدةَ بأسرها كما استخرجتْ من مواضعها المتفرقةِ في ثنايا كتابِ الاستنزالِ، ثم مقدِّمةَ ابنِ السَّكَّاكِ، ثم شرحه لأوَّلِ بيتٍ من القصيدةِ - والحمدُ لله ربِّ العالمين.

القصيدة المحمّدية العرفانية لسَيِّدي عليّ بن وفاء

سَكَنَ الْفَوَادَ فَعِشْ هَنِيئاً يَا جَسَدُ	هَذَا النَّعِيمُ هُوَ الْمُقِيمُ إِلَى الْأَبَدِ
أَصْبَحْتُ فِي كَنَفِ الْحَبِيبِ وَمَنْ يَكُنْ	جَارَ الْكَرِيمِ فَعَيْشُهُ الْعَيْشُ الرَّغْدُ
عِشْ فِي أَمَانِ اللَّهِ تَحْتَ لِوَائِهِ	لَا خَوْفَ فِي هَذَا الْجَنَابِ وَلَا نَكْدُ

لَا تَحْتَشِي فَقْدًا فَعِنْدَكَ بَيْتٌ مِّنْ
 رَبِّ الْجَمَالِ وَمُرْسَلُ الْجَدْوَى وَمَنْ
 قُطِبُ النُّهَى غَوْتُ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا
 رُوحُ الْوُجُودِ حَيَاةٌ مِّنْ هُوَ وَاجِدٌ
 عِيسَى وَآدَمَ وَالصَّدُورُ جَمِيعُهُمْ
 لَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ طَلْعَةَ نُورِهِ
 أَوْ لَوْ رَأَى النُّمُودُ نُورَ جَمَالِهِ
 لَكِنْ جَمَالَ الْحَقِّ جَلٌّ فَلَا يُرَى
 فَاَبْشُرْ بِمَنْ سَكَنَ الْجَوَانِحَ مِنْكَ يَا
 عَيْنُ الْوَقَا مَعْنَى الصَّفَا سِرُّ النَّدَا
 هُوَ لِلصَّلَاةِ مِنَ السَّلَامِ الْمُرتَضَى

كُلُّ الْمُنَى لَكَ مِنْ أَيْدِيهِ مَدَدٌ
 هُوَ فِي الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا فَرْدٌ أَحَدٌ
 أَعْلَى عَلَيَّ سَارَ أَحْمَدُ مَنْ حَمَدُ
 لَوْلَاهُ مَا تَمَّ الْوُجُودُ لِمَنْ وَجَدُ
 هُمْ أَعْيُنٌ هُوَ نُورُهَا لَمَّا وَرَدُ
 فِي وَجْهِ آدَمَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَجَدُ
 عَبْدَ الْجَلِيلِ مَعَ الْحَلِيلِ وَمَا عِنْدُ
 إِلَّا بِتَخْصِيصٍ مِنَ اللَّهِ الصَّمَدِ
 أَنَا قَدْ مَلَأْتُ مِنَ الْمُنَى عَيْنًا وَيَدُ
 نُورِ الْهُدَى رُوحُ النُّهَى جَسَدُ الرَّشْدِ
 الْجَامِعُ الْمُخْصُوصُ مَا دَامَ الْأَبَدُ

[شرح]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
 تسليماً قَالَ الْفَقِيهُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّكَّاكُ - رَحِمَهُ اللَّهُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْمَنَّانِ الْمُنْفَرِدِ بِأَوْصَافِ الْكِرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ. وَأَفْضَلُ
 صَلَوَاتِهِ تَخْصُّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا، قُطِبَ الْأَكْوَانِ، وَتَعَمُّ بِبِرْكَةِ وَسَاطَتِهِ دَائِرَةٌ مِّنْ
 اسْتَمَدَّ مِنْ نُورِهِ، مِّنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
 عَمُومًا، يَحِيطُ بِحَضْرَةِ الرِّضْوَانِ.

أمَّا بعد، فَإِنَّ بَعْضَ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ تَعَالَى مَمَّنْ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ نَسْبَةُ التَّحَدُّثِ بِآفَاتِ
 النَّفْسِ وَغَوَامِضِ خَبِيثَتِهَا وَقَلَّةِ نَجَابَتِهَا وَبُعْدِهَا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ بُعْدًا أَيَّاسَ عَلَى
 مُقْتَضَى الْعَادَةِ مِنْ فَلَاحِهَا، وَمَمَّنْ وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ مِنِّي وَمِنْهُ عَلَى مَكَابِدَةِ قَوَاطِعِ الْكُونِ
 وَالتَّلَظُّيِّ مِنْ آفَاتِ الْعَوَالِمِ، الَّتِي هِيَ عِنْدَ الْمُوَفِّقِينَ أَعْوَنُ شَيْءٍ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ -
 وَهُوَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ - وَالْإِهْتِمَامُ بِاسْتِقْرَاءِ وَجْهِ الْحِيلِ الْمُتَكَفِّلَةِ بِالْخُلَاصِ مِنْ ذَلِكَ
 مَعَ سَلَامَةِ الْعَوَاقِبِ - - فَلَمْ نَجِدْ مِنْهَا مَعَ كَثَرَتِهَا مَا يَصْلُحُ لَذَلِكَ إِلَّا فَنَّا وَاحِدًا
 لَا يُشَارِكُهُ غَيْرٌ فِي هَذَا الْمَقْصِدِ، وَهُوَ التَّعَلُّقُ بِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا

محمّد - صَلَّى الله عليه وسلّم وشرف وكرم - الذي لم نشاهد قطّ خيراً في الكون إلا ببركته ولم نسمع قطّ برفع ضيرٍ إلا بسببه؛ فالتعلّق به هو إكسیر السعادات العاجلة والآجلة، وكنز الأسرار الدنيويّة والأخرويّة، والترياق الأكبر الذي رأينا منه أعجب موجودٍ جرّب في تحليل ما أعضل من سموم الشدائد والمحن ودرء مفسدتها ومقاومة شرّها بفضل خيره؛ بل أقول إنّه يُحيل المحن منناً والنقم نِعماً، ويخرق العادة بعكس الشدائد إلى أضدادها والاستخراج منها لِما ليس في قواها قدرة من مولانا قاهرة ومنّة أفاضها على المتعلّقين بهذا الحبيب باهرة - - أوقفني على قصيد في مدح هذا الكريم الذي نسبنا الجامعة الانتساب إلى حبه، مشتملة على أربعة عشر بيتاً من نظم وليّ الله المُشار إليه في الديار المصريّة بالرتبة القطبانيّة، سيّدي علي بن وفاء⁽¹⁾ فرأيتها تدلّ على كمال مقامه وقوّة استبصاره في عرفانه وتحقيقه بإرث الطريق الشاذليّة. وهي أحمدُ طرق السالكين - رضي الله عنهم - لتأسيسها على أقوى الأركان وتزيين سماءها بدراري الاتّباع الكامل وشموس الحقيقة والعرفان، وبحقّ ما اختارها لنفسه نحلة ونسبة شيخنا، أكمل مشايخ زمانه

(1) هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفاء الإسكندري الأصل المصري الشاذلي المالكي الصوفي، ويعرف كسلفه بابن وفاء. ولد سنة تسع وخمسين وسبعائة بالقاهرة. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: «كان من أكابر العارفين وأخبر ولده سيّدي علي - رضي الله عنه - أنّه هو خاتم الأولياء، صاحب الرتبة العليّة. وكان أمياً وله لسان غريب في علوم القوم ومؤلفات كثيرة ألفها في صباه وهو ابن سبع أو عشر فضلاً عن كونه كهلاً. وله رموز في منظوماته ومنشوراته مطلّسة، إلى وقتنا لم يفك أحد فيما نعلم معناها.» (انظر: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار، القاهرة: مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، 1355، ج 2، ص 19 - 60). وقال الداوودي في طبقات المفسرين في ترجمة سيّدي علي بن وفا: «كان على أحسن حال وأجمل طريقة. ولمّا بلغ سبع عشرة سنة جلس مكان أبيه وعمل الميعاد. وشاع ذكره وبعد صيته وانتشر أتباعه. وذكر بمزيد اليقظة وجودة الذهن والترقي في الأدب والوعظ. قال في الإنباء: (كان أكثر أوقاته في الروضة، وكان يقظاً حاد الذهن، اشتغل بالأدب والوعظ، وحصل له أتباع، وأحدث ذكراً بالخان وأوزان، وله نظم كثير. مات بمنزله في الروضة في يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة سبع وثمانائة ودفن عند أبيه بالقرافة). وقال غيره: (كان فقيهاً عارفاً بفنون العلم بارعاً في التصوف حسن الكلام فيه، مستحضراً للتفسير، بل له تفسير ونظم، وديوانه متداول بالأيدي - رحمة الله عليه.)» (الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (1539 / 945)، طبقات المفسرين، بيروت: دار الكتب العلميّة، ج 1، ص 437 - 438). انظر أيضاً: وزين الدين محمّد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدريّة في تراجم السادة الصوفيّة، تحقيق محمّد أديب الجادر (بيروت: دار صادر، 1999)، ج 3، ص 201 - 215.

بالمغرب، سيدي أبو عبد الله بن محمد بن عباد⁽¹⁾ في استقراء جميع طرق السلوك. فكانت نتيجة غوصه في تلك البحار أن عقد جملة الكمال فاستخرج منها هذه الطريقة - وهي فريدة اللائي. وما زال يُطَنَّبُ في وصفها ويُسَوَّقُ إليها ويتفنَّنُ في أساليبها ويكثر من التفاريع على أصولها ويدعو أرباب السلوك إليها على طريق من النصح والإستبصار بديع - قدس الله روحه الطيب وأسكب عليه غيث رضوانه الصيب بمنه وكرمه.

ولما أوقفني الأخ في الله تعالى على هذا القصيد المبارك - وقد كان تكلم على تراكيب أبياته ومفرداتها على سبيل من الإيجاز - طلب مني الكلام على ما انتدب إليه بأن أكتب ما صدر عنه في كل بيت، ثم أعقبه بما يفتح الله في الوقت، قاصداً بذلك التبرك باجتماعنا مع ذلك الولي في دائرة خدمة سيد الأكوان - عليه الصلاة والسلام - بالتعبير عن شيء مما أفاض عليه مولاه وعلى من تعلق به، من بحار كرمه وجوده، خدمة تكفل بخلاصنا من هذه القواطع، والنجاة من جميع الفتن العاجلة والآجلة.

فبادرت لإسعافه في هذا المطلب المبارك مُقَرَّراً بالعجز عن الإحاطة بقصد ذلك الولي العارف المتكلم عن ذوق لطيف وفتح كامل شريف، عالماً بأن بين خدمتين من البون ما لا يأخذه الحصر، غير أن من قدير عليه رزقه فأنفق مما آتاه الله⁽²⁾ بأدلاً جهداً مُقَلِّ، فمن عادة الكرام جبر قلبه الكسير وإن كان من كل كمال أنهى فقير. حققنا الله بفقرنا إليه في كل نفس وحين بحرمة سيد المرسلين.

[البيت الأول]

سَكَنَ الْفُؤَادَ فَعِشْ هَنِينًا يَا جَسَدَ هَذَا النَّعِيمِ هُوَ الْمُقِيمُ إِلَى الْأَبَدِ

(1) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن عباد النفزي الرُندي. وُلِدَ في مدينة رُنْدَة بالأندلس سنة 733 هـ، فهاجر إلى المغرب الأوسط ثم الأقصى لتحصيل العلم. وصحب سيدي أحمد بن عاشر (ت. 765 هـ) سنين. ثم قام بالخطابة في جامع القرويين إلى أن توفي سنة 792 هـ. كتب عدة رسائل إلى تلاميذه في التصوف، وكتاباً في شرح حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري (ت. 709 هـ). وإليه انتسب ابن السكاك نسبة التلمذة في مكتبته. انظر: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني «ابن عباد الرندي: حياته ومؤلفاته» للغنيمي التفتازاني، في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد، 1958)، 221 - 258 وأيضاً:

Paul Nwiya, Ibn Abbad de Ronda, Beyrouth: Imprimerie Catholique, 1965.

(2) يشير إلى قوله تعالى ﴿مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [سورة الطلاق: 7]

قال الأخ في الله تعالى: «هذه القصيدة المحمدية هي لولي من أولياء الله تعالى يذكر فيها ما وهبه الله من حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما نشأ عن ذلك من عناية وكرامة. وما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عناية عند مولاه فاقت كل عناية. ونحن نتبرك بتبيين غامضها ونشير إلى ما نقدر عليه من محاسنها. البيت الأول بين المفردات. وفيه براعة الاستهلال المعبرة عن كلية المقصد في أول كلمة من افتتاحه، والطباق بين الفؤاد والجسد، والمشاكلة في ذكر النعيم والأبد. عقد الجملة: من سكن فؤاده حب سر الله الأعظم، دام نعيمه إلى الأبد، لا يخشى من انقطاع ولا تصرم.»

قال العبد الفقير: لا ريب في أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمتدح بقصائد فاقت الحصر واستجدت حضرته الكريمة بأساليب من نظم الكلام ونثره الآخذين من ناصية البلاغة وذروة الفصاحة بالذوائب، غير أن أسلوب هذه الأبيات المشروحة الصادرة عن ذلك العارف يغلب على الظن أنه مما لم يسبق إليه لحلاوته ووجازته، وبراعة تخلصه إلى المدح، وغرابة المطلع، وتبل المقصد، وعرفان الخطاب، وانتقاء الأوصاف الخاصة به - عليه السلام - التي لم يشاركه فيها مخلوق لكمال انفراد به. وبالجملة فقد اندمج في صدورهما وأعجازهما ولخص من الحقائق في إيجازها ما لا تنفي به المطولات. ولغرابية منزعها وازدحام المعاني على ألفاظها وأخذها من المغانم العرفانية بأوفر الحظوظ والأقسام، ظن من لا تحصيل له، من أصحاب التعجرف في الفهم، كونها مترجمة عن لسان أهل الطريقة، ولم يفهم كونها في مدح من اقتبست من نوره كل حقيقة. ولا بدع في غرابيتها - وصدورها عن لسان الحال والإيقان وعنصرها يستمد من بحر التحقيق والعرفان. وكيف لا تكون غريبة بين قصائد تستمد من المعرفة بمواقع الألفاظ وظواهر السير وأحكام الأبحر الشعرية وقوافيها؟

ومدار هذه القصيدة المباركة على أصليين لا ثالث لهما، واستنتاج المطلوب فيها عن مقدمتين. الأولى: صرحت بذكر بعض ما أعطى الله حبيبه من الخواص؛ والثانية: تفصح عما منح الله أهل التعلق بحب حبيبه من نفائس الفوائد وضروب الاختصاص. وبدأ بهذه المقدمة الأخيرة مخبراً بها عن نفسه ليتخلص منها إلى المقصد الأعظم - وهو مدح سيد الأكوان بذكر ما منحه مولاه من الخواص، فقال: «سكن الفؤاد....»

يَحْتَمَلُ أَنْ يُضْبَطَ الْفَوَادَ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: قَرَّ الْفَوَادُ وَسَكَنَ مِنْ اضْطِرَابِهِ. وَيَعْبُرُ بِالْفَوَادِ عَنِ الْقَلْبِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ قَلْبَ الْمُحِبِّ شَدِيدُ الْاضْطِرَابِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْوَصُولُ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَى مَحْبُوبِهِ ثَبَّتَ وَسَكَنَ اضْطِرَابُهُ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْوَجْهَ كَوْنُ الْعَارِفِ مُتَكَلِّمًا هُنَا بِلِسَانِ الْحُبِّ، وَيُبَعِّدُهُ مَا سَيَأْتِي مِنْ قَوْلِهِ «فَابْشِرْ بِمَنْ سَكَنَ الْجَوَانِحَ» وَأَشْكَلُ مَا فُسِّرَ بِهِ مَا أَضْمَرَ مِنْ كَلَامِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْهُ.

وَيَحْتَمَلُ ضَبْطُهُ بِالنَّصْبِ وَهُوَ الْأَوْجَهُ الَّذِي لَا يُعَدَّلُ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ قَصْدِ تَعْدَادِ الْمُحْتَمَلَاتِ اللَّفْظِيَّةِ. وَيَكُونُ الْفَاعِلُ بِ(سَكَنَ) ضَمِيرٍ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ اكْتِفَاءً عَنِ ذَلِكَ بَسِياقِ الْكَلَامِ الْآتِي بَعْدُ. وَيَكُونُ ذِكْرُهُ بَعْدَ أَوْقَعٍ فِي الْنَفُوسِ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ إِذَا أُبْهِمَتْ وَذُكِرَتْ أَوْصَافُهَا الْعَجِيبَةُ تَلَهَّفَتِ النَّفْسُ عَلَى تَعْيِينِهَا، فَإِذَا وَرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِلْهَافُ تَعْيِينُهَا، إِمَّا بَسِياقٍ أَوْ تَصْرِيحٍ بِاسْمِ عِلْمٍ، عَلِقَ بِالْقَلْبِ وَرَسَخَ عِلْمُهُ فِيهِ وَثَبَّتْ.

وَفِي الْإِضْمَارِ أَيْضًا لَطِيفَةٌ أُخْرَى أَبْدَعُ مِنْ هَذِهِ، وَهِيَ أَسْعَدُ بِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ، وَذَلِكَ كَانَ شَأْنُ الْمُحِبِّ الْمُتَعَارَفُ اسْتِغْرَاقَهُ فِي مُشَاهَدَتِهِ مَعَانِي مَحْبُوبِهِ، لَا يَكَادُ أَنْ يُدْرِكَ غَيْرًا أَوْ يُخْبِرَ عَنْ سَوَى؛ فَإِذَا أَخْبَرَ بِشَيْءٍ لَمْ يُسَيِّدْهُ إِلَّا لِمَحْبُوبِهِ، لَا يَحْتَاجُ فِي التَّعْبِيرِ إِلَى تَصْرِيحٍ بِاسْمِهِ، إِذْ لَيْسَ فِي إِدْرَاكِهِ حَقَائِقُ تَلْتَبَسُ يَحْتَاجُ إِلَى تَكْلُفٍ وَظَلْفَةٍ التَّعْيِينِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ شَأْنَ الْمُحِبِّ الْغَيْرَةِ عَلَى مَحْبُوبِهِ وَصَوْنُ الْإِسْمِ الدَّالِّ عَلَيْهِ عَنِ الْإِبْتِدَالِ.

وَيَحْتَمَلُ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْإِخْبَارَ الْخَاصَّةَ بِالْمُخْبِرِ عَنْهُ الَّتِي لَيْسَتْ فِيهَا شَرَكَةٌ، لَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ لَهُ، بَلْ يَسْتَعْنِي عَنْهُ كَمَا تَقُولُ: «وَهَبَ أَلْفًا» مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ الْوَاهِبِ، لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ مَلِكٍ فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ. وَكَذَلِكَ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ بَعْدَ (سَكَنَ) وَجَعَلَهُ ذَلِكَ هُوَ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ: لَا يُقَالُ هَذَا إِلَّا فِي وَاحِدِ الْكُونِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. فَهُوَ الَّذِي إِذَا سَكَنَ حُبَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، حَصَلَ عَلَى نَعِيمٍ الْأَبَدِ. وَبِالْجُمْلَةِ، فَقَدْ تَحَصَّلَ مِنْ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْأَوْجِهِ إِفَادَةُ كَلَامِهِ لِمَقْصِدِهِ مِنَ التَّعْيِينِ، عَلَى وَجْهِ هُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْبِيرِ وَأَنْصَعُ فِي الْمَقْصِدِ - وَهِيَ الْفَوَائِدُ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْاسْتِنَارُ.

وَلِقَائِلُ أَنْ يَجْعَلَ (هَذَا النَّعِيمَ) هُوَ الْفَاعِلُ، وَيَكُونُ (هُوَ الْمُقِيمُ) - إِلَى آخِرِهِ) جُمْلَةً حَالِيَةً حُذِفَ وَאוּهَا الرِّابِطُ. وَالْمَرَادُ بِالنَّعِيمِ هُوَ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُقِيمٌ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّ مَا يُتَنَعَّمُ بِهِ مِنَ الْمَلَذُوزَاتِ وَالْمَأْكَلِ

والمشاربِ تَتَخَلَّلُهُ فتراتٌ، والتَّعَمُّ الروحاني بحُبِّ حبيبِ الله نعيمٌ عاجلٌ مقيمٌ متَّصلٌ بالأبدِ لا يَتَخَلَّلُهُ فتورٌ.

فإن قلت: «ما الحكمةُ في تخصيصِ الهَناءِ والأمنِ بالعيشِ للجسدِ دونَ سائرِ العوالمِ الإنسانيةِ؟» قلتُ: يَحْتَمِلُ وجوهاً مِنَ الإعتبارِ، منها كونُ المرادِ بالجسدِ الذاتِ بِمَا احتَوَتْ عليه مِنَ الحقائقِ؛ لأنَّ الجسدَ متضمَّنٌ لذلك، فيكونُ مثلُ قوله بعدُ (يا أنا).

ومنها أنَّ الذي ينبغي أن يُؤمَرَ بالعيشِ إنّما هو الجسدُ الذي هو ميّتٌ بالذاتِ، حيٌّ بالعَرَضِ. فأما سائرُ العوالمِ الإنسانيةِ، مِن نفسٍ وعقلٍ وروحٍ وسرٍّ، فليستَ كالجسدِ، لأنّها أصلٌ في وصفِ الحياةِ منه.

ومنها أنَّ الجسدَ لا إدراكَ له إلّا بالوسائطِ الروحانيّةِ، فساغَ إخباره بِمَا ذَكَرَ، لأنَّ الخبرَ إيصالٌ علمٍ إليه بواسطةٍ، بخلافِ تلكِ الرقائقِ الباطنيّةِ، فإنّها مُدْرَكَةٌ بغيرِ واسطةٍ - إذ حقيقتُها الإدراكُ - إلّا لعائقٍ مِن غلبةِ الجسمانيّةِ، فلا تحتاجُ إلى إخبارٍ.

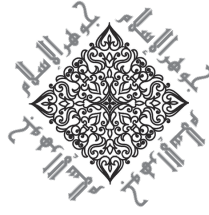
ومنها التنبيةُ على شَرَفِ العوالمِ الباطنيّةِ وأنّها أملكُ بالمَدَارِكِ الظاهرةِ، إذ مِنَ الباطنِ تسري اللذةُ أو الألمُ إلى الظاهرِ. ولا ألمٌ يعرِضُ لقلبِ المحبِّ إلّا بسببِ اضطرابه وعدمِ وصوله. فإذا اتَّصلَ قلبُه بسكونٍ محبوبه فيه وعَلِمَ أنّه مرادٌ بالوصولِ لكونه اتَّخَذَ قلبه مسكناً واختارَه على غيره، ذهبَ الألمُ وانجمَعَ الشملُ بتسويغِ سائرِ المَلذوذاتِ المعنويّةِ. وإذا كانتِ هذه حالةِ الباطنِ - وهو أملكُ بالجسدِ - ولم يبقَ سبيلٌ تَخْلُصُ منه الآلامُ إلى الجسدِ، فَوَجَبَ أن يُخَبَرَ بِمَا أَعَدَّ له مِنَ العيشِ الهنيءِ والنعيمِ الأبدي. وللخلافِ، في شُفوفِ الألمِ الباطنِ على الظاهرِ أو العكسِ، تقريرٌ لسنّا له الآن. وهذا الوجهُ أسعدَ بظاهرِ اللفظِ ويطربُ العيشَ على سكونِ المحبوبِ في القلبِ بالفاءِ المقتضية لذلك.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ تسكينَ روعةِ الجسدِ من مخاوفِ الآلامِ الأخرويّةِ بذكرِ أقوى أسبابِ الرجاءِ في رحمةِ الله، فكأنّه يقولُ: «يا جسد، لا تَحَفْ وعِشْ عيشاً غيرَ منغصٍ. وسأذكُرُ لك سبباً يوجبُ لك الطمأنينةَ بمقتضى هذا الخبرِ. ألا ترى أنَّ اللهَ قد اختارَ قلبك مسكناً لحبِّ حبيبه؟ فدلَّ ذلك على أنَّك مرادٌ إليه بالنعيمِ الأبدي، إذ لا سببٌ للنعيمِ والأمانِ من خوفِ العذابِ السرمدِ إلّا كونُ القلبِ مَسْكناً لحبِّ حبيبِ الله.» ويكونُ قد بالغَ في تسكينِ الروعةِ إن جعلَ السببَ هو عين

المسبّب، لأنّ هذا السكون، لمّا كان سبباً في النعيم الأبديّ، جعله عينه، فقال هذا - أي السكون - هو عين النعيم. وإنّما خصّ الجسد، لأنّ ظهور أثر الألم والنعيم فيه أكثر من غيره من العوالم.

ويحتمل وجهاً آخر من الترقّي، وهو أن يكون أولاً هنا الجسد وما في معناه من المدارك الظاهرة الحسيّة وخصّ ذلك بالعيش، لأنّه أنسب كما تقدّم، وفي آخر القصيد بشرّ الرقائق الباطنة والحقائق الروحانيّة المعبر عنها بـ(أنا)، لأنّ الأنبياء هي الحقيقة التي هو بها الشخص الإنسانيّ، هو وليس ذلك جسده، بل ولا نفسه، لأنّها من رعاياه، بل السرّ المأخوذ عليه العهد والميثاق. وبهذا التقرير يجاب عمّن يسأل فيقول: «ما فائدة قوله (فابشر بمن سكّن الجوانح)؟ وهل هو إلا راجع إلى معنى (عش هنيئاً يا جسد)؟» فيقال إنّهما مقامان، الأوّل ظاهر والثاني باطن. وذلك أنّ القصيدة اشتملت على مقصدين، كما تقدّم، إلّا أنّ كلاّ منهما أعاده على أسلوب من الوجازة والترقيّ بديع. فالآيات الأربعة الأوّل مشتملة على المقصد الأوّل - وهو ما للمحبّ والمتعلّق من الفوائد؛ ثمّ السبعة التي تليها احتوت على المقصد الثاني؛ ثمّ أعاد في البيت الثاني عشر المقصد الأوّل لكن مبشراً للباطن الذي تقدّم عيش ظاهره؛ ثمّ أعقب ذلك في البيتين الأخيرين بمسك الختام. والبشارة أنسب للمعاني الروحانيّة، كما العيش للظاهر.

وأما تفسير صاحبنا لهذا البيت ولما بعده فهو غاية في تطبيق مفصلّ القصيد على سبيل من الوجازة غريب، غير أنّه تلوح له معاني من متممات البلاغة المعبر عنها باللقاب البديع ويدير كُها بلطيف ذوقه؛ فيسمّيها أسماء مشاكلة لمعناها لغة من غير أن يلتزم فيها اللقب الذي اصطلح عليه أهل صناعة البديع. وإذا فهم القصد وصحّ المعنى فلا عبرة بالتسمية، على أنّ أرباب الصناعة تجدّ عندهم من الاختلاف في أسماء تلك الألقاب ما لا يرجع لضبط. وكذلك أيضاً تجدّه يفسّر المفردات اللغوية بمعاني يدلّ عليها سياق التركيب وإن لم توجد كذلك لأئمة اللغة. والأولى في هذا أن يُقيّد بظرف، فيقول «المراد بهذا المفرد هنا...» ولقد أشغلني عن التّنقير عن تحقيق الموادّ اللغوية واستنباط الألقاب البديعيّة ما هو أهمّ، من فكّ التراكيب واستنباط الفوائد التي تولّدّها الألفاظ واللوازم التي تُستنتج من السياق.



قراءة في ديوان (المديح النبوي) للشاعر الليبي الأستاذ الشيخ عبد السلام خليل (نشر دار الوليد)

صاحب هذا الديوان اديب من أدباء ليبيا وشيخ من شيوخها الكبار كان لي شرف التعرف عليه في منتصف الستينات وكنت لازال تلميذا في التعليم الابتدائي كان صديقا حميما للشيخ الوالد الحبيب المستاوي رحمه الله و زميلا له في التدريس في معهد احمد باشا في طرابلس وفي اعداد الحصص الدينية في الإذاعة الليبية وكان يجمع بينهما الكثير من المشتركات اذ كلا منهما من الشعراء منذ تلك الفترة المبكرة وانا أرقب و اتابع تلك العلاقة المتينة بينهما والتي امتدت الى اخريات حياة الوالد سنة 1975.

عرف التونسيون وشيوخ الزيتونة وادباؤها الشيخ عبد السلام خليل رحمه الله لأول مرة في أربعينية فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله التي أقيمت في المسرح البلدي وشهدت مشاركة تونسية وعربية (من ليبيا والمغرب ومصر والجزائر وسوريا..) يومها هز الشيخ عبد السلام خليل أرجاء المسرح بقصيد عصماء مطلعها :

ان فاضل والفاضلون قليل وكذا الحياة تنعم وافول

والقصيد تضمنه العدد الخاص الذي أصدرته مجلة جواهر الاسلام عن الاربعينية سنة 1970.

واستمر التواصل بين شاعرنا الكبير عبد السلام خليل والوسط العلمي والثقافي في تونس من خلال ترده عليها حيث جمعه الوالد بشيوخها في المنزل بمقرين كلما

حل ضيفا على بلادنا ومن خلال ما نشرته له مجلة جوهر الاسلام من بحوث وقصائد شعرية.

قلت ان الشيخ عبد السلام خليل رحمه الله من كبار شعراء ليبيا واشعاره متنوعة ولعل ارقاها هو شعر المديح النبوي والذي احسنت صنعا دار الرايد للنشر عندما جمعتها في سفر حقق ما تضمنه من قصائد وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد المنصف القماطي الذي تتبع كل مراحل حياة ومسيرة الشيخ عبد السلام خليل منذ نشأته وتدرجه في التحصيل العلمي الى ان خرج الى ميادين العطاء : تدريساً وتعليماً وتوجيهاً وارشاداً متوقفاً عند مختلف اغراض شعره في المديح المحمدي.

تضمن ديوان المديح النبوي قصائد مطولة تحمل عناوين (البردة الخليلية؛ يارب صل عليه منقذ الامم؛ يا آمنة بشراك؛ صلوات زكية؛ طلع البدر علينا؛ محمد سر الوجود؛ الله زاد محمداً تكريماً؛ الهمزية الخليلية).

ومن خلال هذه القصائد نلاحظ أن الشيخ عبد السلام خليل اختار ان يكون من تلك الصفوة من الشعراء الذين يمتد سندهم الى حسان بن ثابت وكعب بن زهير وصولاً الى البوصيري والشقراطسي و امير الشعراء احمد شوقي الذين لا تزال قصائدهم الرائعة يخلد التاريخ ذكرها تشد في المناسبات الدينية وفي الافراح والماتم متضمنة سيرة وشمائل الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ولعل سبب خلودها وانتشارها مشرقاً ومغرباً ان من قيلت فيه تلك القصائد هو من رفع الله ذكره وهو رسول الله ﷺ .

من عناوين قصائد (ديوان المديح النبوي) والتي يبدو فيها ومن خلال عناوينها ومضامينها اثر قصائد الامام البوصيري (البردة الخليلية والهمزية الخليلية) وكذلك القصائد التي يجرى تردها على السن الناس (يارب صل على منقذ الامم؛ يا آمنة بشراك؛ طلع البدر علينا؛ الله زاد محمداً تكريماً)

وليس من هدفي في هذه الإطالة ان احلل وادرس مضامين (ديوان المديح النبوي) فذلك ما قام به الدكتور محمد المنصف القماطي في المقدمة التي كتبها دراسة وتحقيقاً للديوان في مايزيد على ستين صفحة .

حسبي ان اورد للقارىء بعض ابيات من قصائد (ديوان المديح النبوي)
يقول الشيخ عبد السلام خليل في قصيد (يارب صل عليه منقذ الامم):

يارب صل عليه منقذ الامم	في يوم بعث الورى من ظلمة العدم
يوم الوجوه ترى بيضا وسودا	وماتجدي العصاة دموع التوب والندم
ويوم من جعلوا الأهواء الهة	ياتون بكما وعميانا وفي صمم
ما من مغيث يغيث الناس يومئذ	سوى امام الهدى المفرد العلم
محمد اية كبرى سماوية	لارضنا قد حباها بارىء النسم
محمد لبني الانسان مدرسة	علوم منهجها من واهب النعم

وفي (الهمزية الخليلية) يقول الشيخ عبد السلام يقول :

ايها الكوكب المشع الضياء	في افاق الخضراء والغبراء
كنت للعالمين فتحامينا	اسعد الارض بعد طول شقاء
وبعثت مؤيدا لكتاب	هو نور هدى وسر شفاء
كان حقا منهاج دين ودنيا	وملاك سياسة وقضاء.

(يا آمنة بشراك) يقول الشيخ عبد السلام

يا آمنة بشراك سبحان من اعطاك	بحملك لمحمد رب السما هناك
في رجب شهر العجب	كما تسميه العرب
حملته دون تعب	او نصب اضناك
ورجب شهر حرام	سفك الدم فيه حرام
بشير امن وسلام	قد شع فيه سنالك

وفي قصيد (صلوات زكية) يقول الشيخ عبد السلام

يارب صل على النبي واله مع كل نفس في الصدور ترددت

وفي قصيد (طلع البدر علينا) يضيف الشاعر ابياتا عديدة في نفس النسق من حيث
المبنى والمعنى الى ما اعتاد الناس انشاده مما توارثوه عن اسلافهم

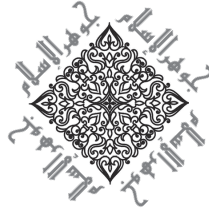
قد اتيت في سرور وبخطوات سراع
وبدأ الصبح جليا ليس يعلوه قناع
حين اطللت لوجه مشرق مثل الشعاع وفي قصيد محمد سر الوجود (انشودة
الاسراء) يقول الشيخ خليل :

محمد سر الوجود رمز البشارة والسعود نبع الصفاء عطر الورود سامي الخلال والشيم
كان مثالا للوفا كان عفوا منصفاً صلوا على المصطفى نور الدجى منذ القدم
ويقول الشيخ خليل :

الله زاد محمداً تكريماً وحباه فضلاً من لدنه عظيماً وسما به الرحمان جل جلاله
فوق العباد وزاده تكريماً

ما هذه الابيات التي اوردتها من ديوان (المديح النبوي) للشاعر الليبي الشيخ عبد
السلام الا مطالع لقصائد طويلة ابيات بعضها بالمتات ضمنها صاحبها احاسيسه و
مشاعر الحب الشديد الذي يكنه لرسول الله ﷺ وهذا غير غريب عن شعراء ربوع
الغرب الاسلامي التي تمتد من فزان وطرابلس مروراً بتونس والقيروان وصولاً الى
بجاية وتلمسان وفاس ومكناس ومراكش وبلاد شنقيط وتمبكتو واكاديس وكانو دون
وسبته وقرطبة وإشبيلية في الاندلس فقد ترك ولا يزال علماء وادباء وشعراء هذه
الربوع في الادب المحمدي نثراً وشعراً ما خلد ذكرهم وعظم ثوابهم مما يعبر عن
صادق حبهم لرسول الله ﷺ والذين نعد منهم الشيخ عبد السلام خليل رحمه الله بما
صاغه من قصائد في ديوان (المديح النبوي) والذي لا يعني هذا العرض المختصر
عن العودة إليه للنهل من معينه العذب./

م.ص م (الصريح الإلكترونية)



صلى الله عليه وسلم

الإمام البوصيري: مآدح الرسول صاحب البردة والهمزية

بقلم الاستاذ محمد العجيلي

الامام شرف الدين البوصيري امره مشهور غير منكور عرف بالاكثر من مدائحه
للحضرة النبوية بحرارة وقدرة وصدق واخلاص ومحبة في جو نوراني رباني، وتوفيق
الهي ملحوظ.

وهو العارف بالله شرف الدين ابو عبد محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن
عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي رضي الله تعالى عنه، ولد بدلاجي بلد امه سنة
608 هـ اما والده فكان من أبي صير واشتهر بالبوصيري، فهو بذلك مصري ولكنه
من اصل مغربي حفظ القرآن الكريم كناشئة المسلمين في سابق الاجيال، ثم طلب
العلم فتثقف على اعلام عصره ملازما الدرس بجد وكد حتى اكتمل، واصبح علما
وبحرا زاخرا تشد اليه الرحال. وقد تخرج على يديه كثرة ممتازة نهلوا من عذاب اده،
وافادوا من غزارة علمه، رضي الله عنه، عين في شبابه موظفا في بليس، فما استقام له
الأمر، ولا استساغ الجو المحيط به فضايق بوضعه الذي لم يلائم طبعه، ولم يتناسب
مع أمانته وتقواه، فكره الوظيفة ونفر من الموظفين، ثم استقال.

لما وفد إلى الاسكندرية من المغرب في سنة 642 هـ العارف بالله عالم الشريعة
والحقيقة قطب زمانه ابو الحسن الشاذلي الحسني مؤسس الطريقة الشاذلية التي
طبقت شهرتها الافاق وجاء معه أكبر اتباعه ولي الله الشيخ ابو العباس المرسى

رضي الله عنه وارث حاله وخليفته على مشيخة الطريقة بعهد منه سنة 646هـ، انتظم البوصيري في سلك هذه الطريقة على يد سيدي أبي العباس، فظهرت عليه التجليات وتوالت عليه النفحات، فانجذب إلى الانوار المحمدية واتجه بكليته إلى المدائح النبوية واكثر من نظم القصائد الفياضة بالحب الصادق عرض فيها جوانب من السيرة النبوية العظيمة في اخلاص ودافع من خلالها عن دين اسلام، وجادل اعداءه وحجهم بالدلائل القاطعة الساطعة، والمنطق السليم فكان لسان صدق وداعي حق، لا يشق له غبار، فاذا نحن اسميناه مآدح الرسول، والحقناه بسيدنا حسان ابن ثابت شاعر الرسول، كنا منصفين لهذا الإمام الهمام.

فمن مدائحه القصيدة الهمزية الغراء، التي سماها: (ام القرى في مدح سيد الورى) التي بداها بقوله:

كيف ترقى رقيق الانبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقدحا	لسن منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للناس	كما ممثل النجوم الماء
انت مصباح كل فضل فما تصدر	الا عن ضوئك الأضواء

وهي اطول قصائده واشملها لما اتجه اليه من السيرة العطرة وما تعلق بها من الدفاع عن العقيدة وللرسول ﷺ والصحابة الاكرمين، وقد بلغت عدتها 456 بيت ومن مدائحه ثلاث بائيات، مطلع احداها:

وافاك بالذنب العظيم المذنب	خجلا يعنف نفسه ويؤنب
----------------------------	----------------------

ومطلع الثانية:

بمدح المصطفى تحيا القلوب	وتغتفر الخطايا والذنوب
--------------------------	------------------------

ومطلع الثالثة

ازمعوا البين وشدوا الركابا	فاطلب الصبر وخل العتايا
وله في المدح ايضا حائية مطلعها:	
أمدائح لي فيك ام تسبيح	لولاك ما غفر الذنوب مديح

ختمها بالضراعة وحسن الاعتذار بقوله:

يا من خزائن ملكه مملوءة كرما وباب عطائه مفتوح
ندعوك عن فقر اليك وحاجة ومجال فضلك للعباد فسيح
فاصفح عن العبد المسيء تكرما ان الكريم عن المسيء صفوح
واقبل رسول الله عذر مقصر هو ان قبلت بمدحك الممدوح
في كل واد من صفاتك هائم وبكل بحر من نداك سبوح
وله دالية منها في مدح الرسول الأعظم صلوات الله عليه:

إلى سيد لم تأت أنثى بمثله ولا ضم حجر مثله لا ولا مهد
ولم يمش في نعل ولا وطئ الثرى شبيه له في العالمين ولا ند
ولم تخذ الكوم العتاق بمثله ولا عدت الخيل المسوقة الجرد
عليم حكيم الخيم ما فوق علمه ولا مجده علم يرام ولا مجد
نبي الهدى أهدى به الله رحمة لنا لم ينلها السعي منا ولا الكد
وبصره حتى رأى كل غائب وصار سواء عنده القرب والبعد
وله لامية منها :

مدح النبي أمان الخائف الوجل فامدحه مرتجلا أو غير مرتجل
ولا تشبب بأوطان ولا مدن ولا تعرج على ريع ولا طلل
وصف جمال حبيب الله منفردا بوصفه فهو خير الوصف والغزل
وله نونية، جاء فيها:

احمد الهادي الذي أتمته رضي الله لها الإسلام دينا
كان سرا في ضمير الغيب من قبل أن يخلق كون أو يكونا.

وقد عارض لامية كعب بن زهير رضي الله عنهما، وهي باتت سعاد، بقصيدة
بداها بقوله:

إلى متى انت باللذات مشغول وانت عن كل ما قدمت مسؤول

وفيهما يقول في النبي ﷺ :

من كمل الله معناه وصورته
 وخصه بوفار منه قر له
 أما قصيدته (البردة) فهي الدررة في جبين الدهر، ومطلعها:
 امن تذكر جيران بذى سلم
 مزجت مع جرى من مقلة بدم
 ومنها:

دع ما ادعته النصارى في نبهم
 وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
 وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
 حد فيعرب عنه ناطق بضم
 ومنها:

كالزهر في ترف والبدر في شرف
 كانه وهو فرد من جلالته
 والبحر في كرم والدهر في همم
 فيها عسكر حين تلقاه وفي حشم
 كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
 ومنسك الختام منها في مناجاة قوله:

يا رب واجعل رجائي غير منعكس
 والطف بعبدك في الدارين إن له
 لديك واجعل حسابي غير منخرم
 صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
 واذن بحسب صلاة منك دائمة
 على النبي بمنهل ومنسجم

إلى يقول: يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا وسع الكرم.
 ولهذه القصيدة قصة ذكرها الناظم رحم الله ورضي عنه، فقال اصابني فالج ابطل
 نصفني، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها واستشفعت به إلى الله تعالى أن
 يعافيني، وكررت انشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرايت النبي ﷺ، فمسح
 على المجمععي بيده الشريفة المباركة، وألقى على بردة، وانتبهت وجدت من بركة يده
 الشريفة ﷺ نهضة، فقممت وخرجت من بيتي - أي معافى كان لم يكن به شيء وهذا
 من بركة يده الشريفة

صلعم كثيرا كثيرا....

ومن مدائح الالامية التي أولها:

فابي اقل العالمين عقولا

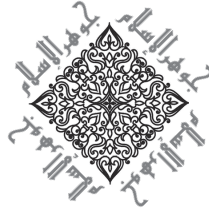
جاء المسيح من الآله رسولا

وفيهما عن سيدنا محمد ﷺ :

قارنت ضوء التبرين بنوره فرايت ضوء النيرين ضيلا
ونسبت فضل العالمين لفضله فنسبت منه إلى الكثير قليلا
واراني الزمن الجواد بجوده لما وزنت به الزمان بخيلا

وله كذلك القصيدة الرائية المضرية في الصلاة على خير البرية،
وهي اوفى القصائد الشعرية، في هذا الغرض الشريف، ومطلعها:
يا رب صلّ على المختار من مضر والانباء وجميع الرسل ما ذكروا
ولسمو قصائده في المديح تعدد شراحها من العلماء، وشرها وخمسها، ونهج
نهجها الكثير من فحول الشعراء، في كل جيل.

وعاش البوصيري محل اجلال واكبار من الامراء والفقهاء والادباء والشعراء،
والاصفياء من القوم، مرعي الجانب، موفور الكرامة إلى أن قضى نحبه بالاسكندرية
سنة 695 هـ، واستقر بها راضيا مرضيا، في ضريحه بمسجده المعروف بها رضي الله
عنه وارضاه وجعل الجنة مثوام و رؤية الله منتهاه جزاء حبه للنبي الكريم، ومدائح
العظيمة التي انتفعنا بها وانتفع بها من سبقونا من مئات السنين.



المصداقية التاريخية والمقام المحمود: إشراقة النبوة الخاتمة في ذكرى المولد النبوي

بقلم: الدكتور / طارق بن ساسي

طرابلس - ليبيا

تطل علينا ذكرى المولد النبوي الشريف لتجدد في نفوس المسلمين معاني القدوة والاهتداء، وتدعو العقل الإنساني للتأمل في فريدة هذه الشخصية العظيمة. وفي هذا السياق، يقدم المفكر الهندي المعاصر وحيد الدين خان قراءة تجديدية لمفهوم «المقام المحمود» الوارد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: 79)؛ إذ يرى أن هذا المقام لا يقتصر على الشفاعة العظمى في الآخرة فحسب، بل يتجلى أيضاً في الواقع التاريخي عبر منح النبي محمد ﷺ حصانة توثيقية وفريدة علمية صمدت أمام صارم المناهج النقدية الحديثة. يقول وحيد الدين خان، في كتابه المنهج الرباني في الدعوة إلى الله: ”ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. إن (الحمد) هو آخر مراحل الاعتراف والقبول بشخص ما. وهذا الوصف يدل على أن الله أراد أن يسبغ على آخر الأنبياء نعمة النبوة المسلّم بها تاريخياً. فهو النبي المحمود في الدنيا، كما أنه صاحب «الشفاعة الكبرى» التي هي مقامه المحمود في الآخرة. إن كون النبي ﷺ — نبياً مسلماً ومعتزلاً به من الناحية التاريخية هو مقامه المحمود في هذه الدنيا.“

ولقد تناول وحيد الدين خان مسألة المصداقية التاريخية في مواضع كثيرة من كتبه لبيان الفارق الحقيقي بين رسالات الأنبياء؛ مؤكداً أن رسالتهم جميعاً واحدة وكاملة،

ولست رهينة بالتطور التدريجي من النقصان إلى الكمال لتنتهي بالضرورة بمسألة التمكين السياسي كي توصف رسالة الانبياء بالكامل، كما يذهب الكثير، إذ ليس التمكين فارقاً جوهرياً بين رسالة سماوية وأخرى، خاصة عند الحديث عن الديانة المسيحية ونبينا الكريم عيسى عليه السلام؛ مقارنة برسالة النبي الخاتم محمد ﷺ ، ذلك إن الفارق الجوهري والامتياز الحقيقي يكمن في حفظ مصادر الدين ومدى صمودها في اختبارات أثبات المصادقية والتوثيق.

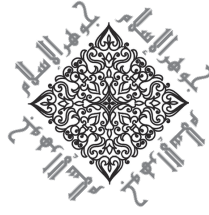
لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون النبي الخاتم متبوعاً بكتاب محفوظ وسيرة مدونة بأدق التفاصيل. ففي الوقت الذي تتهاوى فيه موثوقية العديد من الشخصيات والنصوص القديمة عند إخضاعها لمنهج النقد التاريخي الأعلى (Higher Criticism)، تقف السيرة النبوية ناصعة في نور التاريخ الكامل، كما وصفت الموسوعة الأمريكية صاحبها عليه الصلاة والسلام. يبرز هذا التباين عند المقارنة بالتراث الديني السماوي؛ حيث تساءل الفيلسوف البريطاني بيرتراند راسل في كتابه: لماذا لست مسيحياً (Why I Am Not a Christian) عن مدى وجود إثبات تاريخي قطعي لشخصية المسيح عليه السلام وفق المعايير الأثرية والنقدية، كما أثبت الباحث الفرنسي موريس بوكاي في دراسته المقارنة: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث (The Bible, The Qur'an and Science) تعرض الأسفار السماوية القديمة للتحريف وافتقارها للمصادقية التاريخية، بينما ينفرد القرآن الكريم والسيرة النبوية بالثبوت والضبط التاريخي المحكم.

تتجلى قيمة هذه الفريدة في قصة ذلك الباحث الهندي واسع الثقافة الذي أتقن لغات عدة وقضى عمره يبحث في المخطوطات عن «نبي تاريخي» تثبت المناهج العلمية سائر تفاصيل حياته دون جدوى، حتى عكف على دراسة السيرة النبوية، فوجد بغيته وصاح بهجة: "ما أجمل أن يجد الإنسان في نهاية المطاف نبياً تاريخياً ليؤمن به!". وقد ذكر وحيد الدين خان تلك الواقعة بالقول: «بدأ الدكتور (تشوبا دهايا). يبحث عن الحق وتعلم لهذا الغرض اللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية. ودرس الأديان المعروفة بعناية، قبل أن يتجه لدراسة الإسلام. ولم تقنعه هذه الأديان. وكان أهم سبب في عدم اقتناعه هو أنه وجد أن جميع الأديان

القديمة تفتقر إلى الدليل التاريخي المؤكّد على صحّتها وسلامة نصوصها الموجودة بين أيدينا الآن. فهي عبارة عن أساطير وخرافات ممزوجة ببعض الوقائع، الأمر الذي يجعل من الصعب الإيمان بها.

ثم درس الدكتور (تشوبا دها) الإسلام، واندesh حين اكتشف أن تعاليمه لا تزال محفوظة حرفياً كما نزلت، وأن نبيّه وشخصياته وأبطاله أشخاص عاشوا في وهج نور التاريخ، وأن أحوالهم مسجّلة بدقة في كتب التاريخ، وأنهم ليسوا كالشخصيات الأسطورية التي تحفل بها الأديان الأخرى. وهو يقول في كتابه المنشور قبل ثمانين سنة بعنوان: (لماذا اعتنقت الإسلام؟)، (Why have I accepted Islam؟): «لقد اكتشفت أنه لا غموض في حياة رسول الإسلام، ولا هي مليئة بالأسرار والأساطير التي تطفحُ بها حياة (زرادشت، وشري كرشان، وحتى حياة بوذا، والمسيح). إن الناس أعربوا عن شكوكهم، بل وأنكروا وجود بعض الأنبياء. ولكن كما اعلم هناك من أحد تجرأ على القول بأن شخصية رسول الإسلام أسطورية. ما أسعد الإنسان أن يجد في نهاية الأمر نبياً تاريخياً، بمعنى الكلمة، لكي يؤمن به». (المنهج الرباني في الدعوة إلى الله، وحيد الدين خان).

إن احتفاءنا بالمولد النبوي اليوم هو احتفاء بنبي يمتلك المصداقية التاريخية الكاملة، والمعجزة الخالدة التي تجعل الإيمان بدينه استجابة لمنطق العلم والواقع؛ ليشكل ذلك حقيقة «المقام المحمود» الذي بوّاه الله إياه في الدنيا والآخرة. ليكون نبياً للناس كافة، وليبلغ دينه كل مدر ووبر، ويتولى أتباعه من بعده استكمال دور التبليغ ودعوة كافة الأمم والشعوب، نيابة عنه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (الحج: 78).



الشمال النبوية

و«مرآة الوصول في شمائل الرسول ﷺ»

بقلم: نقيب الإشراف العباسيين في موريتانيا
الشيخ محمد بن سيد أحمد صلاحي

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرم نبيه محمدا ﷺ، فجمع له من محاسن الخلق والخلق ما لم يجمعه لبشر، ورفع في العالمين ذكرا، وأعلى له قدرا، وجعله أسوة حسنة للمؤمنين، ورحمة للعالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، خير من وطئ الثرى، وأكرم من مشى على الأرض، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الحديث عن شمائل المصطفى ﷺ حديث عن أكمل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، وحديث عن جمال اجتمع فيه كمال الظاهر وجمال الباطن، فكان ﷺ أحسن الناس وجها، وأكملهم خلقا، وأطيبهم قلبا، وأكرمهم سجية، وأعظمهم حلما، وأوسعهم رحمة، وأحسنهم معاشرة.

والشمائل النبوية ليست مجرد حديث عن هيئة رجل من الرجال، ولا وصفا تاريخيا لشخصية عظيمة فحسب؛ وإنما هي باب من أبواب معرفة رسول الله ﷺ، ومعرفته تزيد المحبة، والمحبة الصادقة تحمل على الاقتداء والتأسي.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وقال سبحانه في الثناء على أخلاقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فمعرفة شئائله ﷺ تعين المسلم على استحضار صورته الكريمة في القلب، وعلى التأسي بأخلاقه وآدابه، وعلى استحضار رحمته وحلمه وتواضعه وكرمه وحسن عشرته للخلق.

ربيع الأول ومجالس الشئائل

وإذا كان الحديث عن شئائل المصطفى ﷺ محموداً في كل وقت، فإن لشهر ربيع الأول مناسبة ظاهرة لاستحضار سيرته وشئائله، لما اشتهر من ارتباط هذا الشهر بمولده الشريف ﷺ، وما يتصل به من أحداث السيرة النبوية العطرة.

ومن جميل ما تعمر به مجالس هذا الشهر أن لا يقتصر الحديث فيه على سرد الأحداث، بل يتجاوز ذلك إلى معرفة صاحب السيرة ﷺ: إلى معرفة هيئته، وسمته، ومشيته، وكلامه، وضحكه، وسكوته، وحلمه، وحيائه، وكرمه، ورحمته، وسائر شئائله الخلقية والخلقية.

فالمحبة لا تتمثل في كثرة الثناء فحسب، وإنما من تمامها أن يعرف المحب محبوبه، وأن يقتدي بهديه، وأن يحرص على موافقة سنته.

وقد حفظ لنا الصحابة رضي الله عنهم من صفاته ﷺ ما يجعل القارئ كأنه يرى شيئاً من جماله الشريف، فقد وصف البراء بن عازب رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير».

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه في وصف وجهه الشريف: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر».

ووصف أنس بن مالك رضي الله عنه لين كفه وطيب ريحه فقال: «ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ».

وهكذا نقل لنا أصحاب رسول الله ﷺ أوصافه بدقة ومحبة، حتى غدا علم السمائل بابا مستقلا من أبواب التراث الإسلامي، أفردته العلماء بالتصنيف والتدريس.

بين جمال الصورة وجمال السيرة ولم يكن جمال رسول الله ﷺ مقصورا على صورته الظاهرة؛ بل كان جمالا متكاملا، اجتمع فيه حسن الخلق وحسن الخلق.

كان طلق الوجه، دائم البشر، قريب المأخذ، حسن المعاشرة، شديد الحياء، كريما، حليما، رحيما، متواضعا، لا يأنف من مخالطة أصحابه، ولا يميز نفسه عليهم في المجلس، حتى كان الداخِل عليه لا يكاد يعرفه من بينهم من شدة تواضعه.

ومن هنا كان وصف السمائل بابا يجمع بين العلم والمحبة؛ ففي كل صفة من صفاته معنى يدعو إلى الاقتداء، وفي كل هيئة من هيئاته شاهد على كماله ﷺ.

ومن نفائس ما نظم في هذا الباب قصيدة «مرآة الوصول في سمائل الرسول ﷺ» للولي العالم سيدي أحمد زروق، وقد اشتملت على جملة نفيسة من أوصاف المصطفى ﷺ الخلقية والخلقية، وجاءت في أسلوب شعري بديع يجمع بين دقة الوصف وجزالة النظم.

ولأهمية هذه القصيدة، وما تضمنته من ألفاظ عربية دقيقة، يحسن أن تقرأ على ضوء شروح أهل العلم، ولا سيما الشروح التي حفظت لنا جانبا من تراث المحظرة الشنقيطية.

ومن هذا الباب يأتي هذا الشرح الذي جمعه أخونا الشيخ عبد الله بن أحمد بن ألب، واستخلصه من تدريس وإقراء شيخنا الشيخ بن حم الصعيدي حفظه الله، فجمع فيه من دقائق اللغة، ومعاني الألفاظ، ووجوه البيان، ما يكشف كثيرا من معاني هذه الأبيات.

والقصيدة هي:

مِنَ الْبَدْرِ بَلْ مِنْ شَمْسِهِ هُوَ الْهَبُ
بَهِيَّ بِهِجُ الْوَجْهِ أَيْضُ مُشْرَبُ
كَحِيلِ الْجُفُونِ أَدْعَجُ الْعَيْنِ أَهْدَبُ

لَقَدْ كَانَ خَيْرُ الْخَلْقِ أَبْهَرَ طَلْعَةً
جَمِيلُ الْمُحْيَا أَزْهَرُ اللَّوْنِ أَبْلَجُ
أَشْمُ أَرْجُ الْحَاجِبِينَ مُفْلَجُ

مُدَوَّرٌ وَجْهِهُ أَنْوَرٌ مُتَجَرِّدًا
 أَسِيلٌ خُدُودٍ أَنْجَلُ كَثُّ لِحْيَةٍ
 جَلِيلُ الْمُشَاشِ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ
 بَعِيدُ الَّذِي بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَاسِعٌ
 مُرَجَّلٌ شَعْرٌ جَعْدُهُ رَحْبٌ رَاحَةٌ
 إِذَا افْتَرَّ رِيءُ النُّورِ مِنْ فِيهِ خَارِجًا
 حَكَى ثَغْرُهُ حَبَّ الْغَمَامِ إِذَا بَدَا
 قَوِيمٌ فَنَاءً لَمْ يَكُنْ مُتَرَدِّدًا
 وَلَكِنْ وَسِيطًا رُبْعَةَ الْقَدِّ طَائِلًا
 طَوِيلٌ سُكُوتٍ سَالِمٌ صَدْرُهُ دَقِيقٌ
 وَقَدْ وَسِعَ الْأَقْوَامَ حِلْمًا وَبَسْطَةً
 مَهِيْبٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ عَنْ بَدِيهَةٍ
 أَشَدُّ مِنَ الْعَذْرَا حَيَاءً بِخَذَرِهَا
 يَزُولُ تَقْلَعًا وَيَخْطُو تَكْفُؤًا
 فَدُونَكَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْغُرُّ جُمْلَةً
 أَأَحْمَدُ هَذَا أَحْمَدٌ مُتَوَسِّلًا
 مَدْحُكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ وَلَمْ تَكُنْ
 لَنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْمَدْحَ ثُمَّ لَمْ
 فَمَدْحُكَ بِالنَّظْمِ الْمُجَوَّدِ حَوْكُهُ
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ

كَانَ الْمَهَا فِي وَجْهِهِ لَيْسَ تَغْرُبُ
 طَوِيلُ بَنَانٍ وَاسِعُ الصَّدْرِ أَشْنَبُ
 ضَلِيعٌ فَمَ صَحْمُ الْكَرَادِيسِ قُلْبُ
 جَبِينًا طَلِيقُ الْوَجْهِ لَيْسَ يُقْطَبُ
 سَوَاءُ الْحَشَا وَالصَّدْرِ عَذْبٌ مُؤَدَّبُ
 كَانَ ثَنَابُهُ بُرُوقٌ تَلْهَبُ
 ذِكْيُ الْحِجَا سَبْطُ الْعِظَامِ مُطَيَّبُ
 قَصِيرًا وَلَا هُوَ الطَّوِيلُ الْمُشْدَبُ
 مُمَاشِيَهُ وَلَوْ إِلَى الطَّوْلِ يُنْسَبُ
 قُ مَسْرَبَةٍ أَفْنَى وَجِيهِ مَرْجَبُ
 فَصَارُوا سَوَاءً فِيهِ وَهُوَ لَهُمْ أَبُ
 وَمَهْمَا تُحَالِطُهُ فَخُلُقٌ مُحَبَّبُ
 كَرِيمُ السَّجَايَا لِلرَّدِي مُتَجَنَّبُ
 وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا دَائِمُ الْبُشْرِ طَيِّبُ
 تَضَمَّنَهَا نَظْمٌ بِهَا الدَّهْرُ يَعَذَّبُ
 بِمَدْحِكَ وَالْأَجَوَادُ بِالْمَدْحِ تُطْلَبُ
 لِمَدْحِي فَقِيرًا بَلْ أَنَا الْمُتَكَسِّبُ
 أَقْلُ فِيكَ مَدْحًا إِنِّي لَمُخَيَّبُ
 زَكَاةٌ عَلَى أَهْلِ الْقَصَائِدِ تُوجِبُ
 مَعَ الْأَلِ وَالْأَصْحَابِ مَا ذَرَّ كَوْكَبُ

وهذا هو الشرح الذي ذكرناه سابقا.

لقد كان خير الخلق أبهر طلعة = من البدر بل من شمس هو ألهب.

{لقد كان} بمعنى لم يزل، {خير الخلق} ﷺ، {أبهر} أي أنور وأحسن، {طلعة} الطلعة: الرؤية أو الوجه، {من البدر} البدر: القمر ليلة تمامه، سمي بذلك لأنه يبدر غروب الشمس، أي يسبقها طلوعه، {بل من شمس هو ألهب} أي أشد توقُّدًا وجمالًا.

جميل المحيا أزهر اللون أبلج = بهي بهيج الوجه أبيض مُشَرَّب.

{جميل}: حسن، {المحيا}: الوجه، {أزهر اللون}: أي نيره، {أبلج}: البلج: نقاء ما بين الحاجبين، وضده القرن بالتحريك، وهو اتصال الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما. أشمُّ أزج الحاجبين مفلج = كحيل الجفون أدعج العين أهدب.

{أشمُّ} الشمم: ارتفاع قسبة الأنف مع استواء أعلاه، مع إشراف الأرنبة، والأقنى: السائل الأنف المرتفع وسطه، يعني أنه ﷺ يحسبه من لم يتأمله أشم، ومن تأمله عرف أنه أقنى، {أزج الحاجبين} الحاجب الأزج هو المقوس الطويل الوافر الشعر، والمقوس أي المشبه بالقوس، والوافر أي المتصل بعضه ببعض بحيث لا يتخلله فُرج، وهو لا ينافي دقته، أي رفته في نفسه في طول وامتداد، والزجج ما كان خِلقة، والتزجيج ما صُنِع، ومنه زججن الحواجب، {مفلج} التفليج: انفراج ما بين الشايبا، {كحيل الجفون} أي كحلًا خَلْقِيًّا، {أدعج العين} أي شديد سواد الحدقة، والدعج: شدة سوادها مع اتساعها، {أهدب} طويل الأشفار، والأشفار شعر العين.

مدوّر وجه أنور متجرّدًا = كأنّ المها في وجهه ليس تغرب.

{مدوّر وجه} أي كان في وجهه ﷺ تدوير قليل، {أنور متجرّدًا} متجرّدًا تميز محول عن الفاعل بكسر الراء وفتحها، أي نير العضو المتجرّد عن الثوب، {كأنّ المها في وجهه ليس تغرب} المها: أي الشمس، ولعلها ترخيم مهة للضرورة، قاله عبد القادر.

أسيل خدود أنجل كث لحية = طويل بَنانٍ واسع الصدر أشنب.

{أسيل} الإسالة هي الاستطالة، أي طويل، {خدود} جمعه إطلاقًا على التثنية، أي واسعهما حسنهما، {أنجل} النجل: سعة العين وحسنها، وهو من نجل كتعب، وعين نجلاء كحمرء، {كث لحية} أي عظيم اللحية من غير طول ولا رقة، {طويل بنان} البنان: الأصابع، وقيل أطرافها، الواحدة بنانة، سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يستقر بها الإنسان، لأنه يقال: أبْن فلان بمكان إذا استقر به، {واسع الصدر} أي عريضه، وذلك آية النجابة، {أشنب} الشنب: رونق الأسنان وماؤها، وقيل رقتها وتحزيز فيها.

جليل المُشاش بادن متماسك = ضليع فمٍ ضخَم الكراديس قُلْبٌ.

{جليل} أي عظيم، {المُشاش} بميم مضمومة، جمع مشاشة، وهي رؤوس العظام، {بادن} أي ذو لحم، أي سميناً سمناً معتدلاً، والحق أنه ﷺ لم يكن سميناً جداً ولا نحيفاً، {متماسك} أي ليس بمسترخ، بل يُمسِكُ بعضه بعضاً، {ضليع فمٍ} الضليع: الواسع، {ضخم الكراديس} أي عظيمها، جمع كردوس، وهي رؤوس العظام، {قلب} كسكر، والقلب المحتال البصير بتقلب الأمور، وهي كناية عن كمال عقله ﷺ وكمال تدبيره للأمر.

بعيد الذي بين المناكب واسع = جبيناً طليق الوجه ليس يُقْطَب.

{بعيد الذي بين المناكب} جمع منكب، وهو مجمع العضد والكتف، والمراد أنه عريض أعلى الظهر، ويلزم منه أنه عريض الصدر، {واسع جبيناً} جبيناً تميز محول عن الفاعل، أي واسع جبينه، وهو ما فوق الصدغ، وهما جبينان، أي ممتد الجبين طولاً وعرضاً، وبعبارة أخرى: ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، فتكون الجبهة بين الجبينين، وسعة الجبين محمودة عند كل ذي ذوق سليم، {طليق الوجه} متهلل بسام، من طلق ككرم، {ليس يُقْطَب} بكسر الطاء المشددة إذا زوى ما بين عينيه وكلح.

مرجّل شعر أجعد رحب راحة سواء الحشا والصدر عذب مؤدّب.

{مرجّل شعر} أي في شعره ﷺ تشنّ قليل وتكسر خلقة، {أجعد} أي فيه جعودة، أي تكسر قليل، {رحب راحة} واسع الكف، وهو دليل الجود، وعكسه دليل البخل، والراحة: بطن الكف مع بطون الأصابع، {سواء الحشا والصدر} الحشا: البطن، والمعنى أن بطنه وصدره مستويان، بطنه لضموره لا يزيد عن صدره، وصدره لكونه عريضاً مساو لبطنه ﷺ، {عذب} أي حلو، أي أحلى الناس كلاماً ومعاشرة وريقاً، {مؤدّب} في الحديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، أي علمني التخلق بكل خلق جميل، أي علم روعي ذلك قبل إدخالها في جسدي، ثم أدخلها فيه، فكان منطبعا من أول الأمر على أتم الصفات.

إذا افتَرَّ ريء النور من فيه خارجاً = كأن ثناياه بروق تلهَّب.

{إذا افترَّ} ضحك ضحكًا حسنًا، {ريء النور من فيه خارجًا}، {كأن ثنياه} جمع ثنية، وهي أربع أسنان في مقدم الفم، اثنتان من فوق واثنتان من الأسفل، {بروق تلهب} أصلها تتلهب، أي تلمع وتضيء.

حكى ثغره حبَّ الغمام إذا بدا ذكي الحجا سبط العظام مُطيب.

{حكى ثغره} أي شابه، {حب} البرد، {الغمام إذا بدا} الغمام: السحاب، {ذكي الحجا} تام العقل، والحجا: العقل، {سبط العظام} أي ممتدها بلا تعقيد، {مطيب} فقد طيبه الله حيًّا وميتًا.

قويم القناة لم يكن مترددا قصيرا ولا هو الطويل المشذب.

{قويم القناة} في الأصل واحدة القنا، وهي الرمح، والمراد بها هنا القامة، أي معتدل القامة، {لم يكن متردداً قصيراً} المتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً، لأن أجزائه كأنها تداخلت، {ولا هو الطويل المشذب} البائن الطول في نحافة.

ولكن وسيطاً أربعة القد طائلاً = مماشيّه ولو إلى الطول ينسب.

{ولكن وسيطاً} أي متوسطاً بين الطول البائن والقصر، {أربعة القد} القدر، والربعة: المتوسط، ومثله المربع، {طائلاً مماشيّه ولو إلى الطول ينسب} أي أنه زائد عليه في الطول، فلا يماشي أحداً إلا كان أطول منه، ولو كان الماشي معه من أطول الرجال.

طويل سكوت سالم صدره دقيــــــــق مَسْرَبَةٌ أقنى وجهه مُرْحَبٌ.

{طويل سكوت} أي صمت، لأن طول الفكر يستلزم طول السكوت لمنافاة الفكر للنطق، {سالم صدره} من الكبر والحسد والغش والحقد وكل خلق مذموم، وحشاه من ذلك ﷺ.

{دقيق مَسْرَبَةٌ} المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة، {أقنى} يعني أنه كان أقنى العينين مع دقة الأرنبة، ومع حذب، أي ارتفاع وسطه، والعرينين: ما صلب من الأنف، وقيل الأنف كله، والأرنبة: طرف الأنف، قاله القاموس، {وجهه} أي عظيم الجاه عند الله تعالى، {مُرْحَبٌ} اسم فاعل من رحب.

و قد وسع الأقوامَ حلمًا وبسطةً = فصاروا سواء فيه فهو لهم أبٌ.

{وقد وسع الأقوامَ حلمًا} الحلم: حالة تُوقر وتثبت عند الأسباب المحركات، {وبسطة} طلاقة الوجه، {فصاروا سواء فيه فهو لهم أب} أي وسع الناس حلمه وبسطه، فصاروا عنده في الحق سواء.

مَهيب إذا لاقيته عن بديهة = وإما تخالطه فخلق محبب.

{مَهيب} الهيبة: الإجلال، من هاب من باب تعب، اسم الفاعل هائب، واسم المفعول مهيب، {إذا لاقيته عن بديهة} بغتة ومفاجأة، {وإما} ما زائدة، {تخالطه فخلق محبب} الخلق بالضم: الطيبة، أي وإن تصاحبه ﷺ فهو صاحب خلق محب.

أشدُّ من العذراً حياءً بخدرها = كريم السجايا للردى متجنب.

{أشدُّ من العذراً} البكر، سميت بذلك لتعذر وطئها، وهما مترادفان لغة، وأما شرعاً فلا، لأن العذراء في الشرع من لم تزل عذرتها بشيء، والبكر من لم تزل بكارتها بوطء، ولو أزيلت بغيره، كوثبة أو تكرر حيض، والعذراء أخص من البكر، {حياءً بخدرها} الخدر: ستر يعد للجارية، أي بيت في ناحية البيت، قلت (أي قال الشيخ بن حم من عند نفسه حفظه الله): ويقال لمركب، بدليل قول امرئ القيس: ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة.... فقالت لك الويلات إنك مرجل، فهو خشب تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب.

{كريم السجايا} السجية: الغريزة، {للردى} أصله الرديء بالهمز، وهو المنكر المكروه، {متجنب} مباح.

يزول تقلعًا ويخطو تكفؤًا ويمشي الهوينًا دائم البشر طيب.

{يزول} ينتقل، {تقلعًا} أي قلعاً رجليه من الأرض بقوة، {ويخطو} يمشي، {تكفؤًا} أي يسرع المشي، كأنه يميل بين يديه، كما تتكفأ السفينة، أي كأنما ينحط من صلب، {ويمشي الهوينًا} مشي فيه تودة ورفق وسكينة ووقار، {دائم البشر} طلاقة الوجه، {طيب} من أسمائه ﷺ، وهو صفة له أيضاً.

فدونك من أوصافه الغر جملة تضمنها نظمي بها الدهر أعذب.

{فدونك} اسم فعل، أي خذ، {من أوصافه} ﷺ، {الغر} جمع أغر وغراء، والأغر: صبيح الوجه، {جملة} أي جماعة من أوصافه الخلقية والخلقية، {تضمنها نظمي} اشتمل عليها، {بها الدهر أعذب} أي بسبب مطالعتها وفهم معناها أعذب، أحلى، ويحتمل أنه من غير تفضيل بمعنى عذب، أي حلو.

أحمد هذا أحمد متوسلاً بمدحك والأجواد بالمدح تطلب.

{أحمد} نادى المصطفى ﷺ بالهمز لقربه منه رضي الله عنه، وعمارة باطنه بمحبته، ولا يستغرب أيضاً كونه مشاهداً له، قاله عبد القادر بن محمد سالم، {هذا أحمد} يعني نفسه، وهو أحمد زروق، {متوسلاً} حال وعامله هذا، وهو اسم إشارة على حد ((فتلك بيوتهم خاوية))، {بمدحك والأجواد بالمدح تطلب} الأجواد: جمع جواد، وهو السخي، وفي الحديث: (أنا أجود ولد آدم).

مدحتك يا خير الأنام ولم تكن لمدحي فقيراً بل أنا المتكسب.

{مدحتك} مدحه كمنع: أحسن الثناء عليه، {يا خير الأنام} وفي نسخة العباد، {ولم تكن لمدحي فقيراً} محتاجاً لمدح الله تعالى لك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، {بل أنا المتكسب} أي الطالب للعتاء بمدحك والمضطر إليه، وفي القاموس: تكسب طلب الرزق.

لئن كنت ممن يحسن المدح ثم لم = أقله وفيك إنني لمُخيب.

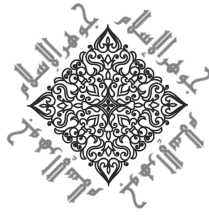
{لئن كنت ممن يحسن} يتقن، {المدح ثم لم أقله وفيك} والحال أنه مقول فيك، {إنني لمُخيب} الخيبة: الخسر.

فمدحك بالنظم الموجود حوكة = زكاة على أهل القصائد تُوجب.

{فمدحك بالنظم الموجود} أي المزين، {حوكة} أي نسجه، {زكاة على أهل القصائد توجب}.

تذييل: ميلود ابن المختار حي.

عليك صلاة الله ثم سلامه مع الآل والأصحاب ما ذرَّ كوكب.



خطبة الجمعة

شهادات انصاف من الأقارب والاباعد فيما كان عليه رسول الله ﷺ من خلق كريم وأدب رفيع

خطبة جمعة في ذكرى المولد النبوي الشريف

الحمد لله الذي أنار الوجود ببعثة سيدنا محمد، فهدى الله به عباده وأخرجهم بما جاءهم به من الضلالة والغواية، وأرشدهم إلى ما فيه صلاح أحوالهم في عاجل الحياة الدنيا وآجل الدار الآخرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا معبود سواه ولا مستعان بغيره، بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد أولاً وآخراً حمداً يوافي نعمه ومنته التي لا تحصى.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومجتباؤه وشفيعه في أمته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح خالص لوجهه الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

وأوصيكم عباد الله بما أوصي نفسي: تقوى الله، فإنها خير الزاد بل هي الزاد الذي ينفع. فاتقوا الله عباد الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم.

نمضي عباد الله المسلمين مع صاحب هذه الذكرى، ذكرى المولد النبوي الشريف، لنستعرض ونتدبر صفحات من سيرته العطرة وشمائله وأدبه، وما شهد له به ربه قبل سائر خلقه من أدب رفيع وخلق عظيم لم يشهد به لأحد سواه من سائر خلقه. بما في ذلك من سبقوه من صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فقال في حقه في محكم تنزيله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وإذا كان من كانوا حوله من أهله وآله وأصحابه، ومن كان منهم لصيقاً ملازماً له في حله وترحاله قد أجمعوا على الإشادة والتنويه بما عرفوه فيه عليه الصلاة من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال التي نشأ عليها منذ صباه، وهو لم يبعث بعد نبياً ورسولاً؛ فكانوا يلقبونه بالصادق الأمين، ولا يهتمونه بمنقصة من شأنها أن تجعله مثل بقية الناس الذين يؤخذ من أعمالهم ويرد. فإن رسول الله ﷺ مثل قبل البعثة وبعدها القمة في مكارم الأخلاق.

وما أبلغه وما أصدق ذلك الذي قالته أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تعدد فضائله ومكارمه: «والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، (المحتاج إلى العون)، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الدهر».

شهادة تُكتب بماء العين من امرأة سبرت وعرفت سير الرجال، واختارت ليكون زوجها لها خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وإنما يعرف منازل الرجال من يعاشرونهم، ويكونون قريين منهم في العسر واليسر والشدّة والرخاء، من أهل وعشيرته ومن يخالطونهم في شؤون الحياة فهم من شهاداتهم تخلو من المجاملة. وذلك هو حال كل من كانوا حوله عليه الصلاة، جميعهم وبدون استثناء اتفقت كلمتهم على ما أوتيّه عليه من خلق رضي وأدب رفيع. وكتب السيرة والشمائل تشهد بذلك والشيء من ماتاه لا يُستغرب. فقد اجتمع الأصحاب والصحب التعظيم والتقدير لرسول الله ﷺ لكل ما راوه فيه ومنه واجتمع لهم مع ذلك الحب لرسول الله ﷺ الذي لم يصل إليه حب المحبين لسواه عليه الصلاة والسلام حب ملك عليهم كل أنفسهم وكتب السيرة تحكي لنا صوراً وحالات يعجز القلم واللسان عن وصفها من إثاره على أولادهم ووالديهم وأموالهم وأنفسهم التي بين جنبيهم وبلغوا بذلك عن جدارة قوله عليه الصلاة والسلام المرتبة الرفيعة (لا يكون أحدكم مؤمناً حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه وماله ونفسه التي بين جنبيه) كانوا رضي الله عنهم وارضاهم هواهم تبعاً لما جاء به من عند الله يقول الله في حثهم ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [الأعراف: 157].

قال أبو جعفر الطبري: يقول جل ذكره: «الذين صدقوا بالنبي الأمي وأقروا بنبوته وعزروه - يقول: وقروه وعظموه وحموه من الناس -، وقوله «ونصروه»: أعانوه على

أعدائه وأعداء دينه، وجهادهم، ونَصَبِ الحرب لهم. «واتبعوا النور الذي أنزل معه»: يعني القرآن، صلوات الله وسلامه عليه. «أولئك هم المفلحون».

يقول الطبري: «الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جل ثناؤه اتباعهم سيدنا محمد ﷺ هم المفلحون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم بفعلهم ذلك».

وفي سير الصديق والفاروق وذي النورين وابن أبي طالب وغيرهم من بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ورضوانهم، صفحات تشهد بمدى الحب الذي أحبوا به صاحب هذا المولد، أكرم خلق الله، والسلاف.

وهم رضي الله عنهم في هذا الجيل، رسول الله ﷺ ينبغي أن يكونوا القدوة والأسوة، فهم خير القرون، وهم معالم الهدى والرشاد التي ينبغي أن يُسار على نهجهم، من يأتي بعدهم من أمة الإسلام.

ما نريد أن نضيفه ومن باب (وشهد شاهد من أهلها) هو شهادات إنصاف اخترنا منها واحدة وما هي إلا عينة دالة على عظمة رسول الله ﷺ لم يتأخر في الاعتراف بها له من لا يمكن أن يتهموا بالميل والمجاملة.

هذه الشهادة نوردها بمناسبة فقد أرسل رسول الله ﷺ إلى عظماء زمانه من الملوك وإلى حكام زمانه سفراء حملوا منه إليهم رسائل تشهد لهم ببعثته نبيا ورسولا وللأديان خاتما.

ومن هؤلاء كسرى فارس والمقوقس ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة وهرقل عظيم الروم.

وهؤلاء السفراء اصفاهم لخبرتهم وحنكتهم وحسن ابلاغهم، وأدائهم لمهمتهم والرسائل التي أرسل بها رسول الله ﷺ دُفِّقَ حَقَّقَ وفي مضامينها واخضع في العقود الأخيرة للبحث ما بقي منها إلى التحقيق المخبري من طرف المختصين، ولُكِّتْ موثوقيتها تضمنتها أمهات كتب السيرة والتاريخ مثل (عيون الأثر) لابن سيد الناس والمواهب اللدنية للقسطلاني (والبداية والنهاية) لابن كثير وزاد المعاد لابن القيم، وصبح الأعشى للقلقشندي، والعبر لابن خلدون، والوثائق السياسية للعهد النبوي للباحث الهندي العالم الجليل محمد حميد الله رحمه الله، المعروف بقدرة متفردة في التحقيق شهد له بها كبار الباحثين والدارسين في بلاد الغرب.

وكان مبعوث رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم هو دحية بن خليفة الذي ينتهي نسبه إلى عامر الأكبر بن عوف الكلبي، وهو صحابي مشهور شهد الخندق وقيل أحداً، وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل ينزل أحياناً على صورته. وقبل أن يسلم دحية كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل خاطبه قائلاً: «يا قيصر، أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله هو خير منه ومنك (أي الله)، فاسمع بذل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تدلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف».

قال قيصر: «هات».

قال دحية: «فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، أدعوك إلى من دبر السماوات والأرض، المسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم بعده، وعندك من ذلك أمانة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر. فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الدنيا والآخرة وشوركت في الدنيا، واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم».

وتتضمن الرسالة النبوية الموجهة إلى هرقل: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (وهم أعوانه وخدمته)).

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: 64].

وبمجرد أن قرأ هرقل الكتاب استدعى أعوانه أن يأتوه برجل من قوم صاحب الرسالة، فالتمسوا فوجدوا أبا سفيان بن حرب. وبعض التجار من قريش في الشام بقصد التجارة، فلما وصلوا أذن هرقل لسفيان بن حرب أن يجلس بين يديه، وأجلس أصحاب سفيان خلفه.

ثم قال: «إني سائله، فإن كذب فردوا عليه»، ثم قال لترجمانه أن يسأل عن نسب وحسب رسول الله ﷺ، فقال: «هو فينا ذو حسب ولا نتهمه بالكذب»، وأن أتباعه في الضعفاء والمساكين وأنهم في تزايد دون أن يرتد واحد منهم عن دينه. وأنبأ بما جاء

به، وسأله هل يغدر فقال أبو سفيان: «لا». ثم قال هرقل للترجمان: قل له (لسفيان): إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تُبعث في أحساب قومها.

وسألتك هل كان من آبائه ملك فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلتُ رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك أتباعه ضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب. وسألتك هل يزدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزدون، وكذلك الإيمان حتى يتم حتى قال: (إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليلبغن ملكه ما تحت قدمي).

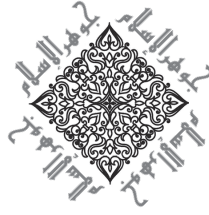
فقام أبو سفيان من عنده وهو يضرب يدا بالأخرى ويقول: «أصبح أمر ابن أبي كبشة يهابه ملك بني الأصفر في سلطانهم بالشام».

أخذ قيصر كتاب رسول الله ﷺ ثم قال أما والله ما تركتُ كتاباً إلا قرأته، ولا عالماً إلا سألته، فما رأيتُ حُسنَ اليوم، ولا أرى غداً ما هو أحسن منه.

ثم كتب الرد التالي: (إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: أتة جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوتُ الروم أن يؤمنوا فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم). كانت عينة معبرة وشهادة منصفة من عظيم في قومه (هرقل ملك الروم) في رسول الله ﷺ تضاف إلى شهادات أخرى عديدة لا تزيد المؤمنين الا ايماناً وتعظيماً لما من به عليه ربهم ببعثة من ارسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منبراً رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ﷺ وعلى اله وأصحابه ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم برحمتك يا ارحم الراحمين.

* خطبة الجمعة القاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

جامع البحيرة 1 تونس

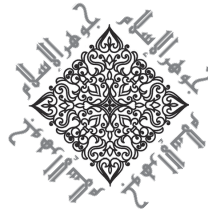


كلمات في الدين

بقلم الأستاذ : ابراهيم الربو - ليبيا

عندما يتحول الدين إلى قشور يتراكم بعضها فوق بعض ، وتمسك كل طبقة بتلابيب التي قبلها ، يكون النفاذ إلى لبّه والوقوف على جوهره أمرا غير يسير ، خاصة عند العامة ومتوسطي الثقافة ، ويعطي مساحة أكبر لما يُعرف (برجال الدين) ليمارسوا دورا كهنوتيا من شأنه أن يعزز استحوادهم على الدين واحتكار المعرفة الدينية ، وهو احتكار منافٍ لطبيعة الإسلام في يسره وعقلانيته ومخاطبته لكل الناس ، وسهولة الإلمام بأبعاده التعبدية وما يقرره من مبادئ تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والكيانات واستثمار تلك العلاقة بما يعزز وظيفة الإنسان باعتباره خليفة لله في الأرض لإعمارها وإشاعة التعاون والسلام والعدالة بين سكانها ، وهو بذلك يكون دين دنيا أكثر منه دين آخرة ، فحتى قضايا العقاب والثواب في اليوم الآخر جاءت لإصلاح الإنسان في الدنيا في علاقته بربه من جانب وبينه وبين أخيه الإنسان من جانب الآخر ، وهو ما يفسر إمكانية المغفرة الإلهية إن تعلق الأمر بذنوب بين العبد وربّه كتفريط في العبادات أو تهاون في أدائها ، بينما تظل مظاهر ظلمه لأخيه الإنسان مقرونة برد ذلك الظلم أو سماح مَنْ ألحق به ، ، وإذا تجرّد الدين من مهمته كإطار أخلاقي ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبين الإنسان ومحيطه الاجتماعي والبيئي ، فإنه يفقد طعمه ولونه ورائحته دفعة واحدة ، وينأى به مختطفوه من الكهنة والسحرة والمشعوذين بعيداً عن واقع الحياة ليغرقوه في وحل الغيبات وأشكالياتها ، ويسحبونه تدريجيا من معترك الحياة فيتخلى عن مهمته في تنظيم العلاقة بين الناس أفرادا وجماعات ، ويتحول إلى طقوس ميتة وتأويلات غريبة ، وهو ما يتناقض مع روح الإسلام ولب الشريعة ، ويغوص بدلا من ذلك في مباحكات فكرية وشطحات

تأويلية لا تستند في غالبيتها إلى قراءة علمية جادة تعيد للدين دوره في بناء اجتماعي يؤسس لعلاقة إيجابية بين الناس ولا شك أننا عندما نفر ونقبل بممارسات كهنوتية - حتى وإن لم نسمها كذلك صراحة - ونتنازل عن حقنا في المعرفة الدينية الصحيحة والسليمة ذات الصلة بالواقع ، فليس غريباً عندئذ أن يتغول الكهنة وسيئون في بعض أقوالهم وأفعالهم إلى ديننا وحضارتنا ، فيزدرينا الآخرون وهم يروننا نجتر ماضياً من الخرافات والدجل ، وليس أدل على ذلك من نشر مقاطع مصورة لبعض من يسمون أنفسهم مشايخ تنبش في قضايا ليست فقط من ثانويات الثانويات بل أنها تتناول قضايا أقل ما يقال عنها أنها مدعاة للضحك والأسف معا ، مما يجعل علامات التعجب والاستفهام تتجمهر على وجوه من يستمع إليهم ، وهم يظنون بذلك أنهم يحسنون صنعا فيقدمون كلامهم على أنه دين وإن اصطدم بالعقل وانفصل عن الواقع وحيث أن هناك من يتصيد فرصة الإساءة للإسلام ، فما يقدمونه يعد صيداً ثميناً يظفرون به تحت شعار (وشهد شاهد من أهلها) ، ويرون فيه مادة جاهزة لأفلامهم وألستهم ليبرهنوا على أن الإسلام دين هرطقة وشعوذة وتمحلات حول الغيب يعيش في غياهب الماضي وكهوف الجزيرة العربية وعقول الرعاة من سكانها ، وعلينا أن نبرهن على أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ليس بالتفاخر بعدد المنتسبين إليه الذي يناهز اليوم المليارين ، وليس بتاريخ فيه الغث والسمين ، وليس بقامات قدمت للإنسانية أنواعاً من المعارف ، بل بانتهاج مسار علمي جاد وفاعل يجعل المسلمين أعزاء كرماء أقوياء ، لأنه لا يُعقل أن يكون الله تعالى قد أوجد الإسلام لإفقار وتجهيل الناس ، فالفقر والجهل والتخلف أشياء متناقضة مع روحه وأهدافه ولعل إقرار مبدأ الاجتهاد إنما جاء ليؤمن حالة التواصل مع ما يستجد من أمور الحياة ، وذلك بإعمال العقل الذي ميز الله به الإنسان عن غيره من المخلوقات ، وهو في واقعه تفويضاً لإلهيا ليتعامل المرء مع مستجدات العصر وقضاياها وفق قوله ﷺ (أنتم أدرى بأمور دنياكم) على أن يكون في النهاية محكوماً بالإطار العام لشريعة الإسلام ، ولا بد أن نعي أن حصره - أي الإسلام - في قوالب جاهزة وتفسيرات ، ومعاملات ذات صلة بعصر معين ، وتأويلات تعود لعقود غابرة ، إنما يحيل الإسلام إلى حالة من الجمود الفكري ، الذي لا يمكن تجاوزه إلا بتفعيله ممارسة تتعامل مع الزمن وتحدياته ليكون مؤهلاً للتحويل إلى برامج في العلم والسياسة والاقتصاد وغير ذلك من العلوم .



أهمية التراجم قديماً وحديثاً والغاية منها

بقلم: الشيخ صالح العود

مجاز من جامعة الأزهر - باحث وكاتب

التراجم - بكسر الجيم جمع ترجمة بمعنى : سيرة حياة إنسان رجلاً كان أو امرأة، مغموراً أو مشهوراً.

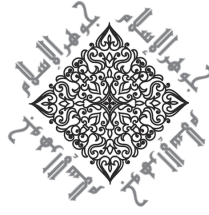
وهي - أي الترجمة - قديماً وحديثاً، مُهمّة وأحياناً واجبة، ربما وضرورية، خاصة في الأعلام والمشهورين، والمُصنّفين ونحوهم، لذلك نجد في كل زمن، بل وفي كل وطن أقلاماً تكتب، وأعلاماً تؤرخ، ومكتبات تعرض وتبيع هذا النوع من الكتب، إلا أن إعدادها ثم تحريرها عسير للغاية وأهم أسباب ذلك إعراض أو تجاهل صاحب الترجمة عن تقديم نفسه بحجة التواضع، أو عدم الأهلية أو التعتيم في الظهور.

والحقيقة أنني عانيت من مثل هذه العقبات والمطبات حين وضعت (مؤلفاتي) في هذا الموضوع مما جعلني أختصر التأليف فيه وأقتصر على ما توفر عندي حتى توقفت دون النهاية، فمثلاً كتابي نجوم المساء في تراجم النساء وقفت في الترجمة الثلاثمائة وكنت أريد أن تصل إلى الخمسمائة وكتابي موسوعة أعلام من الحاضر وقفت عن الترجمة المائة، وصدر منه المجلد الأول في 347 صفحة ولم يتبعه المجلد الثاني والثالث، وقد مثل ذلك عن كتابي تعطير الكلام في سيرة شيوخ تونس الأعلام.

لذا، فإن أهمية (الترجمة) تكمن في هذه النقاط الهامة التي أجمالناها الشيخ الدكتور محمد أبايط أستاذ التعليم العالي بجامعة القرويين بفاس) حين قدم الكتابي (موسوعة أعلام من الحاضر ص 26 ، فكتب لي ما يلي :

« إن دراسة سير الرجال والعظماء، تثمر ما يلي :

- 1 - معرفة البلدان، ومواقعها، وطبيعتها.
- 2 - معرفة الشيوخ والأسانيد.
- 3 - معرفة الهجرات والرحلات العلمية.
- 4 - الإطلاع على صور الحياة العلمية والاجتماعية.
- 5 - معرفة المميزات الذاتية والعلمية والمنهجية لكل صاحب سيرة.
- 6 - معرفة المكونات المختلفة لشخصية المترجم له.
- 7 - اكتشاف أو معرفة عوامل النبوغ.
- 8 - الوقوف على التجارب وانعكاساتها إيجاباً أو سلباً.
- 9 - معرفة آثار الحروب والفتن على المترجم له.
- 10 - معرفة الاهتمامات التي كانت تشغل صاحب السيرة أكثر من غيرها.
- 11 - معرفة آثاره العلمية من تلاميذ وكتب، وغيرها مما تأثر به مجتمعه القريب والبعيد.
- 12 - معرفة المواقف المشرفة وعشقها وتمثلها.
- 13 - الاطلاع على مختلف العلوم والفنون
- 14 - حفز الهمم ، للاقتداء بالرجال والتأسي بالأفذاذ.
- 15 - الترغيب في الوفاء بحقوق الرجال.
- 16 - الدعوة لتوثيق مراحل التاريخ.
- 17 - التحبيب في زيارة خزانات العلماء، والوقوف على مآثرهم.



في رياض السنة الأربعون النووية الحديث السابع والثلاثون سعة كرم الله

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال (إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)

رواه البخاري مسلم في صحيحهما

(فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى وتأمل هذه الألفاظ وقوله «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها وقوله «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها «كتبها الله عنده حسنة كاملة» فأكد «بكاملة» وإن عملها كتبها سيئة واحدة» فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكد بكاملة فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناء عليه وبالله التوفيق).

* هذا الحديث القدسي من الأحاديث التي يرويها رسول الله ﷺ عن ربه، والأحاديث القدسية هي كلام الله والفرق بين كلام الله في الحديث القدسي وكلام الله في القرآن الكريم إن كلام الله في الحديث القدسي لا يصلح به فمعنى الحديث القدسي موحى به والألفاظ في الحديث القدسي من عند رسول الله ﷺ والأحاديث

القدسية هي مثل الأحاديث النبوية خضعت للحصص والغربة والتدقيق و هي درجات من ناحية ثبوت ورودها عن رسول الله ﷺ .

والأحاديث القدسية هي مثل الأحاديث النبوية خضعت للحصص والغربة والتدقيق وهي درجات من ناحية ثبوت ورودها عن رسول الله ﷺ .
سعة رحمة الله:

وهذا الحديث القدسي الذي يرويه الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما خرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

يبين مدى كرم الله وسعة رحمته بعباده وقبوله لأعمالهم الصالحة ومضاعفتها لهم وغفرانه لسيئاتهم وخطاياهم إن هم تابوا واناوبوا واقبلوا على ربهم.

وكرم الله وجوده تعرضت إليه آيات الكتاب العزيز مثل قوله جل من قائل «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم» وقوله سبحانه وتعالى في حق رسول الله ﷺ الذي جاء بدين الإسلام «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وقوله جل من قائل «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» كما نهى المولى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن اليأس من روح الله ورحمته «انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون».

كما أن عديد أحاديث رسول الله ﷺ تؤكد هذه الحقيقة: رحمة الله وعفوه وكرمه وجوده وإحسانه من ذلك ما جاء في الحديث القدسي «إذا تقرب إلي عبدي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة» وورد في الحديث الشريف «إن الله تبارك وتعالى اشد فرحة بتوبة عبده من فرحة صاحب الراحلة التي عليها الزاد والماء وقد فقدوها فلما يس منها عاد إلى مكانه ونام فلما استيقظ وجد دابته وعليها الزاد والماء ومن شدة فرحته قال اللهم لك الحمد أنت عبدي وأنا ربك».

إن هذا الحديث القدسي يبين لنا ان الله تبارك يجازي عباده على قدر نواياهم وقد ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام «يلغ المرء بنيتة ما لا يبلغه بعمله» و«نية المرء خير من عمله».

يبدأ الحديث القدسي. بقوله جل وعلا «إن الله كتب الحسنات والسيئات» كتب الأجر والثواب على ما يقدمه عباده من عمل صالح والعقاب على ما يقتضيه العباد من ذنوب وخطايا.

مجرد الهمّ بالحسنة يجازى عليه العبد «فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» فمجرد أن يهمل العبد ويقصد فعل حسنة يكتبها الله عنده كرماً وجوداً منه حسنة وقد ورد ما يؤيد هذا المعنى في حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما «فينادي الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب انه لم يعمل فيقول انه نواه».

والحسنة هي على إطلاقها وعمومها ما تعلق منها بالعبادات والشعائر أو ما يتعلق بالمعاملات من ذلك إمطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان فالهمّ بالحسنة سبب للقيام بها وسبب الخير خير.

الأجر على الحسنات أضعافاً مضاعفة:

ويكتب الله لعباده الحسنة كاملة غير منقوصة فإذا تجاوز العبد مرحلة الهمّ إلى تجسيم تلك الحسنة في حيز الواقع عند ذلك يتضاعف الأجر والثواب فيكتب الله تلك الحسنة بعشر أمثالها.

قال الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ذلك هو أدنى ما يضاعف به الله تبارك وتعالى الحسنات وتمتد هذه المضاعفة إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة.

وقد ذكر الشيخ الشبرخيتي عند شرحه لهذا الحديث (ان المضاعفة للأجر والثواب بحسب الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة) (

وأورد الشيخ الشبرخيتي (ان المضاعفة باختلاف أنواع العمل فنوع يضاعف بعشرة أمثاله «كسبحان الله» ونوع بخمسة عشر «كصوم يومين من الشهر» لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «صم يومين ولك ما بقي من الشهر» ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من قال «سبحان الله» فله عشر حسنات ومن قال لا اله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله

كتب له ثلاثون حسنة» ونوع بخمسين لخبر من (قرأ القرآن بإعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولا م حرف وميم حرم «بمعنى معرفة معاني ألفاظه» ومن هذا النوع حديث «من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون» ونوع بخمسمائة لحديث «صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة» ونوع بسبعمائة وهو نفقة الأموال في سبيل الله «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليهم» وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال «جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة» ونوع بسبعمائة ألف لما رواه ابن ماجه انه عليه الصلاة والسلام قال «من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة ومن غزا بنفسه في سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم» وروى الترمذي قوله عليه الصلاة والسلام «من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة» وقد قيل لأبي هريرة رضي الله عنه أسمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال سمعته يقول «إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة» قال الله تعالى «ولنجزيهم أجراهم بأحسن ما كانوا يعملون».

ذلك هو ما أورده الشبرخيتي عند شرحه لهذا الحديث القدسي مما يؤكد ما بشر به المولى عباده من عظيم الأجر وجزيل الثواب مما يدل على سعة كرم الله وإحسانه. إن الله تبارك وتعالى يجزي على النوايا الطيبة والطوايا الحسنة وهو سبحانه وتعالى يوفي الجزاء على البسيط القليل من الأعمال الصالحة الحسنة فالقليل مع الإخلاص يصبح عند الله عظيما وكثيرا وقد ندبنا رسول الله ﷺ إلى العمل الصالح ولو بأقل القليل فقال «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ونهانا عليه الصلاة والسلام عن أن لا نحترق من المعروف أي عمل مهما كان صغيرا قليلا ضئيلا فالعبرة بالنوايا والمقاصد «إنما الأعمال بالنيات».

انه كرم الله الذي لا حد له وحبه سبحانه وتعالى لعباده الصالحين يجعله يضاعف لهم الثواب والأجر على الأعمال مهما كانت بسيطة والأعمال الصالحة الحسنة مهما كثرت وعظمت فهي لا تكافئ نعم الله علينا ومع ذلك فانه سبحانه وتعالى تكرم علينا بتلك النعم ولم يشترط علينا لبقائها أن نقدم له من العمل الصالح ما يكافئها.

ترك السيئة يجازى بحسنة:

«وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» سبحانه ما أحلمك وما أعظم كرمك وجودك على عبادك المؤمنين فقد جعل الله تبارك وتعالى لهم بالحسنة تكتب به حسنة والهمم بالسيئة ثم عدم القيام بها تكتب به حسنة فمجرد الامتناع بعد الهمم بفعل السيئة تكتب به الحسنة لان هذا الامتناع سببه هو استحضار عظمة الله وشديد عقابه وعذابه فكان ذلك دافعا للتراجع عن فعل السيئة ، فهذا الامتناع بعد الهمم علامة إيمان وعلامة خشية لله يستحق بها المؤمن الأجر والثواب من ربه الكريم وقد ذكر رسول الله ﷺ خبر الثلاثة الذين آووا إلى الغار وسدت الغار حجرة فتوسل كل واحد من الثلاثة بعمل صالح عمله لوجه الله فكان منهم ذلك الذي لم يمنعه من الوقوع في الحرام إلا كلمة نطقت بها ابنة عمه حيث قالت «اتق الله لا تمس ما حرم الله عليك» فامتنع عن الوقوع في الحرام بعد أن همم بها فخشية الله هي التي منعتهم من الوقوع في الحرام بعد أن كان قادرا على فعله والوقوع فيه «وقد زحزحت الحجرة ببركة الدعاء بهذا العمل الصالح الذي هو امتناع عن الوقوع في الحرام» فالامتناع عن الوقوع في الحرام يعد الهمم به والعزم عليه والقدرة عليه عمل صالح ينال عليه المؤمن الثواب من الله. أما إذا كان الامتناع عن الوقوع في الحرام بعد الهمم به عن عجز وعدم قدرة عليه كان لم يستطع الوصول إليه لمانع من الموانع فإن ذلك لا تكتب به حسنة.

السيئة بواحدة:

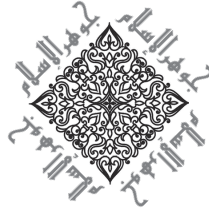
ثم يقول عليه الصلاة والسلام «وان همم بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة» فإذا فعل العبد السيئة فإنها بواحدة لا تضاعف مثل الحسنة قال الله تعالى «من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها» سيئة واحدة فإن تاب منها العبد واستغفر ربه عليها غفرها الله له . ورحمة من الله بعباده جعل الحسنة تكتب وتثبت وتتضاعف بمجرد القيام بها والسيئة يمهل القائم بها فإن استغفر وتاب غفر الله له تلك السيئة وإذا أعقبها بحسنة محت

الحسنة السيئة التي قبلها قال رسول الله ﷺ «واتبع السيئة الحسنة تمحها» أي الحسنة تمحو ما قبلها من سيئة وعلى عكس ذلك فإن السيئة لا تمحو الحسنة التي قبلها «إن الحسنات يذهبن السيئات» انه الكرم الإلهي الذي لا حد له والرحمة الربانية بعباد الله المؤمنين الضعفاء الخطائين الذين يبادرون بالتوبة والإنابة ولا يصرون على ما فعلوا ويستغفرون ربهم الذي وعدهم بغفران سيئاتهم «إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم» فرحمة الله واسعة.

المؤمن لا يقنط من رحمة الله:

وأحب عباد الله إلى الله من يحبهم في ربهم ولا يقنطهم من رحمته وهذا الحديث القدسي واضرا به كثير في هدي رسول الله ﷺ وفي آيات الكتاب العزيز بشريات لعباد الله حتى لا يقنطوا من رحمة الله ولا يياسوا من روحه فالحمد سبحانه وتعالى غني عن عباد الله لا تنفعه طاعاتهم ولا تضره معاصيهم. إن الذي لا يغفره الله لعباده هو أن يشركوا به أما ما دون ذلك فهو قابل للعفو والغفران إذا ما قبل العبد على ربه بصدق وإخلاص وإنابة لسان حاله يردد «لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أستغفرك وأتوب إليك» فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا مفر إلا إليه هو سبحانه وتعالى من يتقبل منا القليل الخالص ويضاعفه لنا بمحض فضله وكرمه وجوده وإحسانه وهو سبحانه وتعالى من يمحو سيئاتنا وخطايانا نقبل عليه من هذا الباب الواسع إقبال الضعفاء المنيبين وإقبال الصادقين المخلصين وهو الذي وعدنا ووعدده حق بان لا يردنا خائبين وبان يجعلنا بكرمه من الناجين الفائزين «أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا» سبحانك لا نظن بك إلا خيرا ابتدأنا بالكرم وتماديت في هذا الكرم فنعم الرب أنت لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رب كريم واله حلیم رحمان رحيم.

ولا شك أن ما زاد على الحديث إنما هو تعليق من جامع هذه الأحاديث والذي اختارها وهو الإمام النووي رحمه الله وقد أراد أن يلفت انتباهنا إلى دقة الكلمات وموضوعها والتعبير عنها بالصيغ المناسبة للمعنى المراد تبليغه وهو بيان سعة كرم الله وجوده وعفوه وصفحه ومضاعفته لحسنات عباده مهما كانت قليلة.



متابعات وقراءات

* في الراحلين إلى دار البقاء :

توفي اليوم الخميس 7 ربيع الاول 1448هـ / 20 اوت 2026 في تونس شيخ زاوية سيدي علي التماسيني الخليفة التجاني الدكتور محمد العيد التجاني رحمه الله واسكنه فراديس جنانه بعد عمر قضاه في نشر العلم في ادق إختصاصاته العصرية ليتفرغ بعد ذلك لنوع اخر من العلم ورثه عن ابيه السادة الاعلام من شيوخ التجانية فهو سليل الشيخ سيدي علي التماسيني تلميذ سيدي احمد التجاني دفين مدينة فاس في المغرب والذي ولد ونشا في عين ماضي في الجنوب الجزائري.

شهدت الزاوية التجانية في تماسين تحت اشرافه نقلة نوعية في كل مجالات نشاطها فقد طور رحمه الله الزاوية وعدد مرافقها المشتملة على مسجد كبير في جانب منه يقع قبر الشيخ الصالح سيدي علي التماسيني رحمه الله لتتسع ارجاؤه ويكون مقصدا لمئات المصلين الذين تمتلئ بهم رحابه في الصلوات الخمس وفي الجمعة والعيد في الدروس والمسامرات التي يلقيها ضيوف الزاوية من الجزائر وخارجها في ملتقيات وطنية ودولية ظل يدعو اليها الفقيه الشيخ الدكتور محمد العيد التماسيني التجاني طيلة السنوات الماضية والى جانب المسجد الكبير في الزاوية هناك اقسام التعليم لمختلف المستويات من الروضة والكتاب العصري الى اقسام التدريب والتكوين المهني المتطور والمواكب لكل جديد في العلم والمعرفة وليس هذا بالغريب على استاذ جامعي في العلوم الدقيقة تؤول إليه مشيخة الزاوية

* وإلى جانب هذه الاقسام والمكاتب الإدارية هناك إقامة للضيوف من الجزائريين ومن القادمين من الخارج

ولتعلق الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني الخليفة وشيخ الزاوية فانه خص الزائرين للزاوية من اهل تونس وعلمائها بجناح لاقامتهم برهانا منه ودليلا على تعلقه بتونس الزيتونة وشيوخها الاعلام والذين منهم مفخرة الزيتونة ومفخرة السادة التجانية سيدي ابراهيم الرياحي رحمه الله المفتي وشيخ الجامع الاعظم والمريد المقرب من شيخ الطريقة التجانية سيدي أحمد التجاني رحمه الله الذي التقى به وأخذ عنه الطريق لما ذهب سيدي ابراهيم مبعوثا الى سلطان المغرب في مهمة حاله فيها التوفيق والنجاح.

* سيرا على هذا النهج القويم نهج العلماء الصالحاء سار الخليفة التجاني الشيخ محمد العيد التجاني رحمه الله وظل ملازما للتردد على تونس يظل يقيم فيها المدة الطويلة يلتقي بالبقية القليلة من اعلام الزيتونة ويعقد مجالس الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ في زوايا الطريقة التجانية في تونس ابن يجتمع بالاحباب في مجالس ذكر ومذاكرة في جامع الزيتونة وفي مقام سيدي ابراهيم الرياحي رحمه الله وفي الزوايا الاخرى

* وفي إحدى السنوات في العشرية الأولى من الألفية الثالثة شرفني الشيخ محمد العيد بالزيارة في منزل الشيخ الوالد رحمه الله بمقرين في عشاء ولقاء روجي تمتنت على أثره العلاقة بيننا ولما دعيت للمشاركة في ملتقى علمي عقد في مدينة ورقلة ابيت الا ان ازور الزاوية وركبت في الصباح وسبحان الله لم نتمكن من الانطلاق الى الزاوية لتأخر الرحلة الى مابعد الظهر ولما وصلنا الزاوية وتجولنا في ارجائها بداية بضريح سيدي علي التماسيني رحمه الله في وقفة كانت من اسعد اللحظات من الناحية الروحية قمنا بزيارة مكونات المعلم وقد علمنا أن الشيخ محمد العيد رحمه الله في الخارج ولا يعلم متى يصل.

سبيحة ومسيحة ولويحة

وانا اتجول في ارجاء الزاوية قرات كلمات لسيدي علي التماسيني رحمه الله مكتوبة على جدران اقسام الدراسة شدت انتباهي لخص فيها التصوف الحقيقي والعملية (سبيحة للذكر) ومسيحة (للعمل) ولويحة (لحفظ القرآن وطلب العلم)

بعد ان انتهينا من الزيارة وكنا نهم بالعودة إلى ورقلة واذا يركب الشيخ محمد العيد التجاني رحمه الله يصل لتوه عائدا من تونس فإذا باللقاء مع الشيخ يمتد الى ساعة متأخرة قضيناها في المذاكرة والانصات اليه وهو يعرض المنهج الاصيل

والمتمجد الذي ينبغي ان تكون عليه هذه المعالم الروحية العريقة المعاضدة لجهود مختلف الاجهزة الوطنية في المجالات التربوية والبحثية والاقتصادية والتي مضى فيها الشيخ محمد العيد التماسيني التجاني رحمه الله اشواطاً بعيدة يرجى من الخلف الصالح ان يواصلها.

- التقيت بعد هذا اللقاء الثاني في الزاوية واللقاء الاول في منزل الوالد بمقرين بالفقيد في ملتقيات جمعتنا في عدة مدن جزائرية وكان الالحاح منه شديداً رحمه الله كي اعاد الزيارة الى الزاوية في تماسين وكنت أعده ولكن الأقدار الإلهية لم تكتب لا اللقاء هناك ولا اللقاء هنا الا ان القلوب ظلت متلاقية والرؤى ظلت متطابقة حول ضرورة الجمع بين التعليم والتزكية لكي يتحقق للمسلم الفلاح.

- وتشاء الأقدار الا ان تلتحق روح الشيخ الدكتور الخليفة التجاني محمد العيد التماسيني ببارئها في تونس التي احبها واحب اهلها وعلماءها مؤمناً بان الراية التي يرفعها شيوخ الزيتونة وشيوخ الزوايا الاعلام هي التي ينبغي ان تظل عالية تجسماً للهوية الدينية للشعبين التونسي والجزائري (عقد الاشعري وفقه مالك وطريقة الجنيد السالك)

ومن تونس تنتقل طائفة خاصة انتقل حاملة الجثمان الطاهر ليواري التراب في زاوية آباءه

واجداه من السلف الصالح في تماسين في اجلال وتقدير للفقيد عبر عنه في برقية العزاء الرئيس عبد المجيد تبون رئيس الجمهورية الجزائرية استعرض فيها مناقب وخصال الفقيد العزيز مترحماً عليه وسائلاً الله له بالرحمة والغفران وسكنى الجنان فانا لله وانا اليه راجعون.

م. ص م. (جريدة الصريح الالكتروني)

مسجد باريس الكبير في مؤيته (2026/1926): عراقة وروحانية ممتدة لقرن كامل

مسجد باريس معلم ديني في قلب باريس متميز في عمارته المغاربية تولى امامته شيخ زيتوني معاوية التميمي (أصيل منزل تميم) ومنبره الاول من اهداء الدولة

التونسية اعد عنه أطروحة دكتوراه في الهندسة باحث تونسي في السوربون د. بن حميدة (اصيل مدنين)

تداول على عمادته كل من حمزة ابوبكر العباس بن الشيخ الحسين والتجاني الهدام ودليل ابوبكر وعميده الحالي الدكتور شمس الدين حافظ .

* كان هذا المسجد وجهة لكل من يزور باريس وممن زاره سيدي احمد العلاوي رضي الله وكبار علماء الإسلام من مختلف البلدان الإسلامية ومن المهتمين للإسلام من أمثال الشيخ مصطفى فلسان رحمه الله تلميذ الفيلسوف رني قنون (عبد الواحد يحي) رحمه الله ومن رواده العلامة الدكتور محمد حميد الله رحمه الله

ويلمس كل زائر لمسجد باريس روحانية تميزه عن بقية مساجد فرنسا لعل سببها ما تركه من زاره من أولئك الصالحاء من بركات وانوار واسرار وهو ما يحس به من يجلس في حلقة الحزب الراتب التي تعقد في رحابه اثر صلاة العصر كل يوم وتلك المجالس التي تنظمها في رحابه بعض الطرق الصوفية العريقة (الطريقة العلاوية تعقد في رحابه في العشر الاواخر من رمضان من كل عام مجلسا ذكر ومذاكرة بإشراف شيخها الاستاذ خالد بن تونس).

* ولما زار فضيلة الشيخ الوالد الحبيب المستاوي رحمه الله فرنسا سنة 1970 التقى فيه بالجالية المغاربية والقى فيه محاضرة وكذلك زاره كل من فضيلة الشيخ الحبيب النفطي والشيخ عثمان العثماني رحمهما الله في إطار القيام بالاحاطة بالجالية التوتسية في رمضان والمولد وزاره فضيلة الشيخ عبد العزيز الزغلامي رحمه الله ودون انطباعاته في مقال نشره في مجلة جوهر الاسلام

* وتشرفت شخصيا بزيارة مسجد باريس عديد المرات ومنذ التسعينات والقاء دروس مدعوا من الهيئة العلمية المشرفة على النشاط الديني مشكورة الجالية. وكنت مصحوبا في البعض من تلك الزيارات ببعض الاخوة الافاضل من رجال الحالية التونسية في فرنسا اذكر منهما الاخوة البشير العجيلي رحمه الله والله بلقاسم بن عرفة طارق مامي صاحب إذاعة فيانس مغرب شفاه الله والاخ نور الدين الحفصي رحمه الله والاخ صلاح الدين التيج واخرين ولا انسى في هذا الصدد ذلك الدرس الذي القيمه قبل صلاة الجمعة ونقلته مباشرة إذاعة الشرق في باريس والذي اخذ صدى

كبيراً في باريس وفي تونس وكان ذلك في فترة عمادة الدكتور دليل ابوبكر (وبعض وثائق ذلك الدرس محفوظة عندي).

قال لي ذات مرة السيد عبد الحميد الشيخ رحمه الله سفير تونس في باريس (لم أر مثل مسجد باريس في شبهه بالمسجد الحرام في مكة المكرمة في تنوع الحضور فيه لأداء صلاة العيدين)..

تحية عطرة الى مسجد باريس في ماوتيه والى مزيد الاشعاع بروحانية الاسلام في باريس عاصمة الانوار .

م. ص. م (جريدة الصريح الإلكتروني)

الازهر يحتفل بمرور 100 سنة على صدور (الازهر)

وبهذه المناسبة أعاد طبع عددها الاول (نور الاسلام) والتي كان فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله أول رئيس تحرير لها.

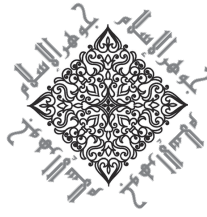
في لمسة وفاء وبمناسبة احتفال الازهر بمئوية مجلته (الأزهر) التي تصادف هذا العام (1448 هـ) اتحتفت أسرة تحرير مجلة الازهر بإعادة اصدار العدد الأول والذي كان يحمل اسم (نور الاسلام).

وقد كتب افتتاحية ذلك العدد فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله ابن هذه الربوع التونسية وابن الزيتونة واحد شيوخها الاعلام وقد تولى بعد ذلك مشيخة الأزهر وهي سابقة اذ لم يتول من غير المصريين مشيخة الأزهر سواه .

وقد جاء هذا العدد (نور الاسلام) هدية من المجلة لقراءها فيه التكريم لمن كان لهم فضل السبق في خدمة الإسلام بالقلم في ذلك الزمن المبكر درجت مجلة الازهر على تقديم هدية لقراءها (كتابا وفي بعض الاحيان كتابين) تختارها من امهات الكتب المفيدة

علما بان مجلة الازهر يرأس تحريرها فضيلة الشيخ الدكتور نظير محمد بن عياد مفتي جمهورية مصر ولا تزال تصل الى السوق التونسية واخر عدد وصل منها والمعروض حاليا للبيع هو العدد المتضمن الهدية المذكورة (اول عدد صدر من مجلة الازهر قبل قرن من عمر الزمان).

(م.ص.م) جريدة الصريح الإلكترونية



يسألونك قل..

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين

بقلم الشيخ : محمد الحبيب النفطي رحمه الله

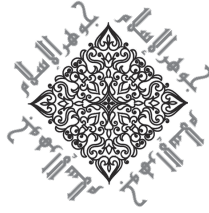
السؤال: يقول سائل كريم قرأت حديثين شريفيين (ان النار اشتكت الى ربها فقالت قد أكل بعضي بعضا...الخ) والحديث الآخر يقول (ان اخر اهل النار خرجوا منها ...) واخر اهل الجنة دخولا لها) فهل يعني الحديثان ان النار ستفنى بعد عدد من السنين لا يعلمها الا الله جل جلاله ويدخل اهلها أو بعضهم الى الجنة مع العلم انني قرأت هذين الحديثين في كتاب رياض الصالحين وهو كتاب موثوق به فيما أظن به: أرجو الاجابة في تفسير هذين الحديثين بوضوح

الجواب:

1 / اعلم ايها السائل الكريم ان هذا الحديث النبوي الذي ذكرته في سؤالك هو حديث صحيح قد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وهو قوله عليه الصلاة والسلام (اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون حرها صيفا وأشد ما تجدون من زمهريرها شتاء) رواه الشيخان المذكوران سابقا انتهى من كتاب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ص 46 ج 1 .

والحديث الثاني الذي ورد فيه ان آخر اهل النار خرجوا وآخرهم دخولا للجنة هو كذلك حديث نبوي صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وهو قوله عليه الصلاة والسلام (إنني لأعلم اخر اهل النار خرجوا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا أي مشيا على البتة فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول أفسخر بي وأنت الملك؟) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ وعليه ايها السائل الكريم فالحديثان صحيحان واما فناء النار أعاذنا الله تعالى من دخولها فهو مما اختلف فيه العلماء فذهب

ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية الى القول بفناء النار وذهابها ذكر ذلك في كتابين له وهما حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ص 245 الى ص 280 والكتاب الثاني هو (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) من ص 252 الى 264 ذكر ابن القيم في مسألة فناء النار سبعة أقوال للعلماء ورجح من بين هذه الأقوال ان النار لها أمد ستفنى فيه ذلك ان الله تعالى سيفنيها وقد ايد ابن القيم هذا القول بوجوه عديدة على لسان قائلها منها ان الله قد أخبر في ثلاث آيات عن النار بعدم ابديتها اي دوامها وهي قوله تعالى ﴿لَا يَبْقَى فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (عم) فتقييد اللبث لأهل النار في النار بالأحقاب أي الأزمنة يدل على مدة مقدرة يحصرها العدد لأن ما لا نهاية له لا يقال فيه هو باق أحقابا وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك من الآية وهم أفهم الأمة لمعاني القرآن الكريم واية سورة الأنعام (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ الآية 128 واية سورة هود عليه السلام ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ الآية 107 وقال سبحانه في حق خلود اهل الجنة في الجنة خلودا ابديا لا انقطاع له بعد ذكر الآية 107 من سورة هود عليه السلام فالاستثناء ان في الايتين مختلفين والدليل على ان الاستثنائيين مختلفين هو ان الاستثناء الاول قال الله تعالى فيه (الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) فلم يقيد هذا الاستثناء بما يدل على الديمومة غير المنقطعة بخلاف الاستثناء الثاني الذي قيده الله تعالى بالديمومة غير المنقطعة فعلم من الآية الثانية ان الله تعالى لم يقيد هذا العطاء الذي امتن به على اهل الجنة في الجنة فهو غير مقطوع عنهم ابدا بدليل قوله جل ذكره (عطاء غير مجذوذ) اي عطاء غير مقطوع لأن كلمة مجذوذ لغة تعني غير مقطوع وهذا الفهم ان عذاب اهل النار في النار هو عذاب غير ابدي لا بد ان ينتهي فيما اراده الله تعالى من الأزمان والاباد وان نعيم اهل الجنة في الجنة ابدي لا ينقطع ابدا بدليل قوله جل ذكره (عطاء غير مجذوذ) اي مقطوع وبهذا الفرق بين نعيم اهل الجنة في الجنة وعذاب اهل النار في النار فهم الصحابة رضي الله عنهم حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لو لبث اهل النار في النار عدد رمل (عالج) لكان لهم يوم يخرجون فيه)



الرسول خط أحمر وفوق الديموقراطية...

بقلم صالح الحاجة

حاولت ان افهم كل التيارات والاتجاهات والرؤى في بلادي وازعم اني فهمتها وتفهمتها ولو قليلا .. ولكن هناك جماعة تعبت في فهمها ولم ادرك معنى وجودها ولا الغايات التي تسعى إلى تحقيقها»..

«هكة لا طاح ولا دزوه» يخرجون على الناس بين الحين والحين بما يشعل نار الفتنة...وبما يحيى جذور نظام القبائل والنحل...

وبما يجعل الشعب التونسي يتحول الى شعب الاخوة الاعداء.. وهم يفعلون ذلك باسم الديمقراطية وحاشا الديمقراطية من ان تكون اسلحة جرثومية تبيد الناس والفكر والحضارة والاستقرار .. الديمقراطية ليست «كولني وناكلك» ..ودمرني وندمرك .. الديمقراطية نتعايش ..نتوافق ...نتعاون... نتسامح... نتقاسم ... معناها بالفلاقي: انت في قدرك وأنا في قدري... اقول هذا لأن بعض من جماعة «قوم بوس الحيط» رجعوا إلينا هذه الايام بخطاب النيل من الرسول وآله وصحابه وبعض الأحداث التاريخية المختلف عليها .. رجاء... رجاء تونس «ماهاش ناقصة».. كفوا عن استخدام الماضي لتهديم الحاضر والمستقبل ..

يرحم والديكم «سايسونا»...

وارجوك ثم ارجوك لا تقحم الديموقراطية في الموضوع ...

لا علاقة لهذا الموضوع بالفكر الإنساني جملة وتفصيلا ..

له علاقة وحيدة ومثينة بقله الحياء وبعدم احترام مشاعر الناس ...

ومن لا يحترم الناس فمن حق الناس أن لا يحترموه ...

porte bien sur la notion de “Prophète” et non sur celle d’“homme” (*insân*) ou d’“être vivant” (*mawjûd*). C’est cette “Naissance”-là, pré-adamique, qui justifie pleinement que l’on puisse employer la formule *Mawlid al-Nabî* pour désigner la mise au monde charnelle du futur Sceau des Messagers. Cette dernière naissance est celle à laquelle nous faisons allusion au tout début de notre propos, car elle touche en quelque sorte l’ordre intemporel et offre à ce titre l’opportunité de se réaliser à tout instant.

Afin que le *Mawlid an-Nabî* ait une portée opérative et ne se réduise pas à un simple évènement commémoratif, il doit être vécu réellement, ce qui ne peut se réaliser qu’en un mode spirituel et ne peut avoir lieu que dans la matrice d’un cœur pur ou purifié. Pareille naissance n’est concevable que si l’on saisit bien la signification profonde et littérale de l’heureuse déclaration divine : « Et sachez qu’en vous réside l’Envoyé d’Allah » (Coran; 49,7). Le rite d’initiation chargé de l’activer permet de la vivre comme une véritable re-naissance. La semence préexistante au centre de l’être, semence appelée “Lumière”, “Esprit” ou “Réalité muhammadienne” (*Nûr, Rûh*, ou *Haqîqah muhammadiyah*), quitte alors son état latent et entame en toute effectivité son processus germinatif pour, au stade ultime, être en mesure d’accueillir et de laisser place à la pleine et unique Présence divine.

Nous terminerons notre propos en faisant remarquer que le concept d’apparition du Verbe à Noël pour les chrétiens et au *Mawlid* pour les musulmans est essentiellement un. Le sujet traité ici est une illustration probante de l’idée qu’exprimait, sur un plan général, le Cheikh ‘Abd-al-Wâhid Yahyâ (René Guénon) en disant que « dans l’ordre ésotérique, le rapport de l’“Homme Universel” avec le Verbe d’une part et avec le Prophète d’autre part ne laisse subsister, quant au fond même de la doctrine, aucune divergence réelle entre le christianisme et l’Islam, entendus l’un et l’autre dans leur véritable signification » (*Le Symbolisme de la Croix*, chap. 3). A la suite de ce maître dont il se considérait disciple, Michel Vâlsan, devenu le Cheikh Mustafâ ‘Abd al-‘Azîz, précisa que « la Réalité muhammadienne constitue le Mystère du Verbe suprême et universel, car elle est en même temps la Théophanie intégrale (de l’Essence, des Attributs et des Actes) et son occultation sous le voile de la servitude absolue et totale » (*L’Islam et la fonction de René Guénon*).

leur est attribuée dans un classement alphabétique particulier qu'on appelle l'*Abjad* dont on a malheureusement perdu de vue tout l'intérêt. Dans celui-ci, le classement des lettres suit l'ordre ascendant des nombres qui leur sont affectés et qui datent d'une époque où précisément les nombres étaient notés sous forme de lettres et non de chiffres, ces derniers n'étant pas encore apparus. Suivant la valeur numérique de ses trois lettres constitutives, le monogramme vaut 71 (*Alif* = 1 + *Lâm* = 30 + *Mîm* = 40). En tenant compte de la correspondance entre la naissance du Coran et celle du Prophète, ce nombre ne se révèle ni fortuit, ni anodin, puisqu'il coïncide avec le nombre de jours écoulés depuis le début du cycle annuel arabe jusqu'au 12 de *Rabî' al-awwal* : deux mois lunaires consécutifs, en l'occurrence ceux de *Muharram* et de *Safar*, comptent en général 59 jours (30 + 29) auxquels viennent s'ajouter les 12 jours du premier *Rabî'*.

A une époque où le calendrier était établi en suivant le rythme solaire des saisons les noms des mois arabes pouvaient se comprendre sans problème. Dans le cas d'un comput lunaire, plus court que le comput solaire d'environ 11 jours par an, il était nécessaire d'introduire des périodes intercalaires pour rectifier les jours manquants et rester en phase avec les saisons. Quand l'Islâm fut institué, la pratique des jours intercalaires fut abrogée (cf. Coran; 9, 37), ce qui tend à démontrer que la raison d'être de ces mois était plus à mettre en correspondance avec le développement initiatique de l'homme en tant que végétal plutôt qu'avec la croissance des végétaux eux-mêmes. Il faut se rappeler en effet que, de même que le noyau produit l'écorce et non l'inverse, ce sont les réalités intérieures (celles du *bâtin*) qui sont à l'origine des réalités extérieures (celles du *zhâhir*). L'abandon de la coïncidence entre les phases du cheminement initiatique et celles des périodes de l'année peut être justifié par au moins deux bonnes raisons. La première qui est couramment mise en avant consiste à dire que, de la sorte, les temps de grâces spéciales que contiennent les mois peuvent intervenir en toute période et vivifier toute saison. La seconde est que l'homme, étant de moins en moins accordé avec les rythmes de la nature, il lui convient de se concentrer d'avantage sur son propre rythme et de ne laisser à celui de la nature qu'un rôle de pur repère symbolique. Fort heureusement en effet le développement initiatique demeure toujours possible et ne dépend pas nécessairement d'un laps de temps donné. Il n'est donc jamais trop tard pour en déclencher le processus quelle que soit la saison de la vie où l'on se trouve.

Ces dernières considérations nous amènent à envisager un autre type de « Naissance du Prophète ». Ce *Mawlid* est sans doute le plus primordial de tous car il est préalable à toute existence humaine. Plusieurs traditionnistes rapportent, avec quelques variantes ne modifiant pas le sens fondamental des propos qui y font allusion, qu'à la question : « Quand as-tu été Prophète ô Envoyé d'Allâh ? », celui-ci répondit : « Alors qu'Adam était entre l'esprit et le corps (*bayna al-rûh wa al-jasad*) » ou « entre l'eau et l'argile (*bayna al-mâ' wa al-tîn*) ». Plus d'une fois, Ibn 'Arabî soulignera que la question

au cours du sommeil. Aucune vision ne lui venait si ce n'est semblable à la percée de l'aurore». Au dire de l'Envoyé d'Allah r « ce type de vision est une des ٤٦ portions de la Prophétie », celle dont on peut encore bénéficier depuis l'interruption des mandats prophétiques. La durée au cours de laquelle ce phénomène se produisit fut de six mois, ce qui se déduit facilement d'ailleurs si l'on sait que la mission muhammadienne s'est déroulée sur une période de ٢٣ ans et donc de ٤٦ semestres. Les six mois en question, qui sont comparés au plus court temps nécessaire à une gestation viable par Isma'il Haqqî (*Tafsîr*, sourate 96), sont ceux qui précèdent le *Ramadân* et qui nous ramènent donc derechef, ainsi que l'a relevé notre exégète, au mois de *Rabî' al-awwal*. Dans ces conditions, n'est-on pas fondé de croire que la date du 12, et probablement un lundi, est la plus plausible à retenir concernant une première manifestation des visions annonciatrices ? Si tel fut bien le cas, c'est qu'aux principaux "Noëls du Prophète" fut réservée la même porte du temps. On a pu aborder précédemment l'une des raisons qui distingue cette porte des autres portes du cycle annuel et qui la rend apte à jouir d'une pareille grâce. Un tel privilège ne se réduit évidemment pas à notre seule explication et exigerait d'autres exégèses complémentaires que, malheureusement, le cadre restreint de la présente étude n'autorise pas.

Une donnée numérique intéressante peut être mise en connexion avec la place de cette date dans l'année. Nous avons déjà eu l'occasion de signaler, en d'autres contextes, une curiosité du Texte coranique, à savoir que la sourate inaugurale du Livre divin, *Al-Fâtihah* ("Celle qui ouvre"), se trouve dans le Livre lui-même alors qu'elle est qualifiée pourtant de "Mère du Livre" (*Umm al-Kitâb*). C'est une certaine façon de dire que, puisque le Livre (c'est-à-dire son Fils) l'inclue, la Mère se trouve dans son Fils. De ce fait, le début du Livre-Fils peut être considéré à deux niveaux ayant chacun leur raison d'être. Au premier niveau, il commence à la *Fâtihah* en tant qu'elle fait partie de lui, mais au second, distingué de sa Mère cette fois, il ne commence qu'à la deuxième sourate intitulée *Al-Baqarah* ("La Génisse"). Cette deuxième perspective se trouve justifiée par les premiers mots mêmes de ladite sourate. Celle-ci est en effet inaugurée par un monogramme mystérieux, *Alif-Lâm-Mîm*, suivi de l'heureuse déclaration, *Dhâlika l-Kitâb*, que l'on peut traduire notamment par : « Voilà le Livre ! ». On peut y voir l'annonce faite à la Mère de la naissance de son Fils. L'acte d'accouchement est en ce cas signalé par les trois lettres *A-L-M* qui, parmi leurs multiples significations très cryptées, en ont au moins une bien significative en arabe. Le mot qu'elles forment dans cette langue est *alam*, "douleur", qui évoque alors tout naturellement et en priorité celle de l'accouchement.

Cela dit, il est une autre exploitation possible de ce monogramme sacré se rapportant à notre sujet. D'après certains commentaires, les lettres isolées placées en début de vingt-neuf sourates représentent notamment des clés numériques du Coran. Les nombres qu'elles expriment sont liés à la valeur qui

événements, d'une importance majeure, qui se trouvent concurremment fêtés lors de ce jour anniversaire. Cette remarquable récurrence calendaire n'ayant assurément rien de fortuit, il reste à en comprendre la logique. Sans prétendre en percer tout le mystère, nous allons tenter à présent de soulever au moins un coin du voile qui le recouvre.

De chacun de ces épisodes vécus par le Prophète r on peut retenir au moins un point commun, celui qui permet à l'expression *Mawlid al-Nabî* de demeurer applicable et pertinente dans tous les cas. Il s'agit en effet chaque fois, quelle qu'en soit la modalité, d'une véritable « Naissance du Prophète ». Et puisque celle qui concerne son entité corporelle est évidente, passons immédiatement aux suivantes, celles liées respectivement à son « Emigration » (*Hijrah*) et à son décès.

L'Hégire ayant été retenue comme début d'une ère nouvelle marquant l'an 1 de l'Islâm, on admettra aisément qu'à cette naissance institutionnelle et administrative de la nouvelle religion puisse être associée l'idée d'une seconde naissance de la Prophétie, une naissance en quelque sorte "officialisée". Quant à son décès, dont la notion même semble contradictoire avec celle de naissance, qu'en est-il ? Le grand soufi que fut en son temps le Cheikh 'Abd al-Wâhid Yahyâ (René Guénon) écrivait (*Symboles Fondamentaux*, chap. 23) : « Mort et naissance ou résurrection, ce sont là deux aspects inséparables l'un de l'autre, car ce ne sont en réalité que les deux faces opposées d'un même changement d'état ». La disparition à ce monde est ainsi, ipso facto, une apparition à celui auquel on accède. En cas de réalisation complète, comme la présuppose la Prophétie, il s'agit d'une véritable « délivrance » initiatique, à savoir un retour définitif au Principe. Nous soulignerons à cet égard que c'est au jour de leur retour au Seigneur et non pas à leur arrivée à la vie d'ici-bas que l'on fête les saints chrétiens dans le calendrier liturgique. On célèbre ainsi le moment où leur fonction terrestre circonstancielle et conditionnée se résorbe dans la permanence inconditionnée de leur fonction céleste.

A trois reprises donc, un lundi 12 de *Rabî' al-awwal* fut le jour choisi pour que s'y déroule une modalité du *Mawlid al-Nabî*. Comment ce fait-il, que l'épisode sacré de la Révélation déclenchant l'énonciation formelle du titre de Prophète ne corresponde pas également à cette date puisque, contre toute attente, le Coran indique expressément le mois de Ramadan comme période de la Descente du Texte sacré (cf. *Coran*; 2, 185) ? C'est la *Sunnah* qui fournit les renseignements susceptibles d'expliquer les raisons de cette exception.

Le début de la mission prophétique que l'on situe généralement au moment où *Sayyidu-nâ* Muhammad r reçut l'ordre de réciter les premiers versets de la sourate *Al-'Alaq* ("Le Sang coagulé") peut aussi n'être compté qu'à partir du semestre antérieur. Pour s'en convaincre il suffit de recourir une fois encore aux précieuses données transmises par *Sayyidatu-nâ* 'Â'ishah : « La forme première de la Révélation reçue par l'Envoyé d'Allâh fut "la vision authentique" (*al-ru'yâ al-sâdiqah* ou "la vision sainte": *al-ru'yâ al-sâlihah*)

prétation du verset et sans doute pour qu'on en saisisse toute la portée, *Sayyidatu-nâ* 'Â'ishah affirmait déjà que le caractère intérieur de celui dont elle fut l'épouse très aimée était le Coran (*kâna khuluqu-hu al-Qur'ân*).

L'identité foncière du Prophète et du Verbe coranique étant à présent établie, on en déduit qu'il existe nécessairement une étroite correspondance entre la naissance de l'un et de l'autre. *Mawlid al-Nabî*, "Naissance du Prophète", et *Mawlid al-Qur'ân*, "Naissance du Coran", ne peuvent-ils dès lors être conçus simultanément ? Nous allons constater que cela se vérifie en effet sous un certain rapport.

D'un strict point de vue fonctionnel, il est possible d'objecter que lors du *Mawlid al-Nabî* le nouveau-né accueilli n'était pas encore objectivement investi de la mission prophétique. Nous verrons plus loin comment l'expression n'en reste pas moins juste. Toutefois, d'un avis quasi unanime, ce n'est effectivement qu'à l'âge de quarante ans qu'il reçut la Révélation et qu'il manifesta par conséquent la Prophétie proprement dite. Le *Mawlid al-Nabî* doit-il dès lors, comme on en a pris l'habitude, n'évoquer que la seule mise au monde charnelle du Prophète ? Il ne paraît nullement incongru de penser qu'il peut tout aussi bien, voire même plutôt, concerner le grand évènement de la Révélation qui fit de *Sayyidu-nâ* Muhammad r un Prophète ouvertement opératif. N'est-ce pas d'ailleurs au fond la seule manière de constater vraiment une coïncidence des deux natiuités du Prophète et du Coran ? A sa façon, l'Envoyé d'Allâh r suggéra qu'à cette occasion se produisait bel et bien pour lui une re-naissance. Une tradition de Anas en rend compte : « Après avoir reçu sa prophétie, le Prophète fit pour lui-même un sacrifice de natalité (*'aqqa 'an nafsi-hi*) ». L'Imâm Suyûti commente le fait dans son *Husn al-maqsad fi 'amal al-Mawlid* en rappelant qu'« au septième jour de la naissance de son petit fils, son grand-père 'Abd al-Muttalib accomplit le sacrifice d'usage en sa faveur et que, (normalement), ce rite ne se refait pas. En le répétant malgré tout, le Prophète voulut donc certainement rendre ouvertement grâce de sa renaissance apostolique en tant que « Miséricorde pour les mondes » (*Coran*; 21,107) et de l'honneur fait à sa communauté ».

A propos de coïncidences, il convient à présent d'en récapituler quelques autres tout aussi étonnantes et significatives. On trouve en effet consigné dans le recueil d'Ibn Kathîr consacré à sa *Biographie prophétique (al-Sîrah al-nabawiyyah)* ce qui suit : « l'Envoyé d'Allâh r est né un lundi, a reçu la Prophétie un lundi, a émigré de la Mekke à Médine un lundi, est arrivé à Médine un lundi, est mort un lundi et a posé la Pierre noire [lors de la reconstruction de la Ka'bah, cinq ans avant sa Mission], un lundi. » Mais le plus surprenant, c'est qu'il y est encore précisé que sa naissance se produisit un 12 de *Rabî' al-awwal*, qu'il arriva à Médine un 12 de *Rabî' al-awwal* et qu'il mourut un 12 de *Rabî' al-awwal*. La date du lundi 12 de *Rabî' al-awwal* bénéficie ainsi, pour le moins, d'un triple privilège. On se rend compte qu'en réalité, même si le premier d'entre eux occulte en quelque sorte les autres, ce sont tous ces

de son Seigneur... alors qu'une mauvaise parole est comme un mauvais arbre déraciné de terre et instable » (Coran ; 14, 24-25 et 28). De toutes les bonnes paroles, celle d'Allah est incomparable et universelle. Elle peut donc être symbolisée par un bel Arbre universel, un Arbre qui transcende le pourtant bien nommé arbre *Tûbâ* lui-même qu'Allâh « planta de Sa main au Paradis » d'après la tradition prophétique. Un Arbre sans commune mesure avec tous les arbres de la terre réunis, ceux dont il est dit : « Et si tous les arbres de la terre étaient des calames et que la mer leur serve d'encre et, après elle, sept mers, la Parole d'Allah ne s'épuiserait pas... » (Coran ; 31, 27).

Si l'Arbre Universel s'identifie à l'Homme Universel et si ce même Arbre s'identifie à la Parole Universelle, il s'ensuit mathématiquement que l'Homme Universel et la Parole Universelle sont identifiables. C'est cette dernière identité qui va nous amener à comprendre ce que représente vraiment la "Naissance du Prophète r" et ce que peut recouvrir cette expression. Pour commencer, nous relèverons la citation suivante d'Ibn 'Arabî (*Futûhât*; 4 p. 61): « De la communauté de l'Envoyé d'Allâh r, quiconque n'a pu voir celui-ci de ses propres yeux et le souhaiterait n'a qu'à regarder le Coran. S'il y plonge le regard, il s'apercevra qu'il n'y a pas de différence entre voir le Coran et voir l'Envoyé d'Allâh r. C'est comme si le Coran s'était constitué une forme corporelle nommée *Muhammad b. 'Abd Allâh b. 'Abd al-Muttalib*. Le Coran est le Verbe d'Allâh (*Kalâm Allâh*), il en est l'expression qualifiée, et Muhammad est l'expression qualifiée du "Dieu Vrai" (*al-Haqq*) - Exalté soit-Il ! - en totalité ; c'est pourquoi : « Celui qui obéit à l'Envoyé d'Allâh a d'ores et déjà obéi à Allâh » (*Cor.* 4, 80) ».

Cette édifiante instruction apporte un écho renouvelé et amplifié à la parole johannique qui annonçait déjà : « Et le Verbe devint chair et dressa sa tente parmi nous » (*Jean*; 1, 14). Elle assimile là, très clairement, l'ultime manifestation du Prophète à celle du Logos divin et, ce faisant, elle explicite le titre curieux de « Coran marchant sur terre » (*Qur'ân yamshî 'alâ al-ard*) ou de « Coran circulant dans les souks (*Qur'ân yamshî fî al-aswâq*) » que l'on applique à *Sayyidu-nâ Muhammad r*.

Comme il se doit, ces hautes considérations s'appuient sur les données du Livre sacré de l'Islam et de la tradition prophétique (*al-Kitâb wa al-Sunnah*). Au cours des tous premiers versets révélés à son Messenger, Allâh déclare en effet à ce dernier sans plus attendre : « Et tu es certes d'un "caractère intérieur" (*khuluq*) "immense" ('*azîm*) ! » (*Coran*; 68,4). On notera que le caractère en question bénéficie d'une même épithète que le Coran (cf. *Coran*; 15, 87). Tous deux sont dit expressément '*azîm*', ce que rend assez bien le terme « immense » en français car, étymologiquement, il exprime « ce à quoi on ne peut assigner de mesure ». Pour cette raison, le Cheikh al-Akbar, ayant par ailleurs adéquatement qualifié le Coran d'« océan sans rivages » (*bahr bi-lâ sâhil*), suggère ici le caractère « illimité » de la nature profonde du Prophète, occultée par le cadre délimité de son réceptacle créé (*khalq*). En guise d'inter-

des deux lettres m et n, l'une par l'autre, pour des questions de labialisation ou de nasalisation du son (et leur juxtaposition courantes dans les alphabets) permettent de voir qu'il existe un lien fort unissant *Ibrâhîm* à l'autre mot employé dans le Coran pour désigner une "preuve" de la Vérité : *burhân*. Hormis les voyelles et les lettres qui en font office, les lettres constitutives des deux termes sont en effet respectivement *BRHM* et *BRHN*.

D'Arbre du Monde qu'il était, en tant qu'homme ayant réalisé les petits mystères et la perfection humaine qui en découle, l'initié devient, à ce stade ultime de la réalisation des grands mystères, l'Arbre Universel. Ces deux degrés de réalisation sont contenus implicitement dans l'expression soufie *Shajarat al-Kawn* qu'Ibn 'Arabî a retenue comme titre pour un de ses ouvrages sur l'Homme Universel. Trop primordiale et réservée pour ne pas être dissimulée derrière une forme dissuasive, celle de la transgression du couple édénique formé par Adam et Eve, cette notion d'Arbre est liée au mystère de l'Homme et de sa "Lieutenance" (*Khilâfa*) sur terre.

L'Arbre de l'Univers auquel est identifié l'Homme Universel est, en réalité, un Arbre inversé, sa véritable racine est au Ciel et sa ramure se déploie dans les différentes couches de la création comme se déployait autrefois les branches de l'arbre de Noël suspendu au plafond pour offrir ses cadeaux venus d'en haut. Pour s'épanouir l'arbre doit nécessairement perdre l'aspect unitaire de son tronc et se ramifier généreusement ainsi que le sous-entend Allâh en instituant Adam "Calife (*Khalîfah*) sur terre (cf. Coran ; 2, 30). La *Khilâfa* ou le "Califat", comme son nom l'indique en effet, exige un *khilâf* ou une *mukhâlafah*, un "contredit" ou "un acte d'opposition". Ayant une connaissance incomplète de la science des noms et ne percevant que cet aspect négatif et apparent des choses, les Anges se sont naturellement insurgés contre l'annonce du Califat d'Adam. Ils en conclurent qu'Adam allait inmanquablement, par cette fonction même, amener la corruption et qu'il allait, suivant les trois lettres constitutives de son nom *ADM*, répandre le "sang" (*dimâ* : mot trilittère composé de *DMA* en arabe). Mais Allah leur objecta immédiatement : « Moi Je sais ce que vous ne savez pas ». Ce qu'il ne savent pas, Il l'enseignera précisément à cet Homme dont Il va faire Son parfait substitut en l'instruisant de tous les noms et devant lequel, par cause d'ignorance, d'orgueil et de jalousie, un pôle céleste refusera de se prosterner et chutera jusqu'au pôle opposé, en signe d'une inversion cyclique des pôles.

L'identification de l'Arbre Universel et de l'"Homme Universel" (*al-Insân al-Kâmil*) étant une donnée établie, il est possible d'établir aussi une identification du même type entre cet Arbre et la Parole divine. Elle se laisse assez pressentir au vu des considérations suivantes que l'on ne fera ici qu'évoquer succinctement. Dans la sourate *Ibrâhîm* il est demandé : « N'as-tu pas vu comment Allah présente de manière frappante en parabole une bonne parole comme un "bel arbre" (*shajarah tayyibah*) dont le tronc est fermement enraciné et la ramure dans le ciel, donnant à tout instant ses fruits avec la permission

mordiale, l'initié peut désormais envisager un cheminement vers l'état absolument inconditionné solennisé, quant à lui, par "la grande Fête" (*al-ʿĪd al-kabīr*). C'est en vue de la réalisation de cette délivrance définitive de toute contingence, acquise au terme de l'année initiatique, que le jour de la petite Fête est dit ouvrir les mois du Pèlerinage. Si le parcours qui mène à la petite Fête est à considérer comme horizontal et correspond au "Voyage nocturne" (*al-Isrâʾ*) du Prophète r de la Mekke à Jérusalem, celui qui aboutit de celle-ci à la grande Fête est à considérer comme axial et correspond quant à lui à son "Ascension" (*al-Miʿrâj*).

En raison de cette perspective devenue axiale l'on quitte définitivement les mois dont le nom renvoie au processus d'un développement végétal. Le premier des trois mois ultimes de l'année est alors *Shawwâl* dont le nom est précisément une expression d'"élévation". Ce mois est traditionnellement préconisé pour le mariage dont le rattachement spirituel classique, par la prise de la main, est une application dans l'ordre initiatique. Les deux derniers mois sont *Dhû-l-Qa'dah* et *Dhû-l-Hijjah*. Le premier évoque le temps où, ayant conclu le pacte initiatique et reçu l'influence spirituelle, le récipiendaire s'assoit (*qa'ada*) devant son maître instructeur pour recevoir son enseignement théorique afin d'atteindre la station spirituelle de la "Science de la certitude" (*ʿIlm al-yaqîn*). Le second indique qu'il part accomplir objectivement sa "Quête" (*Hajj*) pour accéder aux deux stations de l'"Œil de la certitude" (*ʿAyn al-yaqîn*) et de la "Réalité de la certitude" (*Haqq al-Yaqîn*). Au terme de son parcours initiatique, le Pèlerin, devenu un authentique hôte divin, est alors distingué par un titre : celui de *hâjj*. Ce titre ne témoigne pas uniquement du fait qu'il ait effectué le Pèlerinage. Plus profondément, il atteste qu'il est devenu une divine "preuve" (*hujjah*) parmi les hommes, ayant atteint une sorte d'"apothéose", au sens étymologique du mot, apothéose qui, comme toujours en Islam, n'en demeure pas moins occultée sous le voile protecteur de la servitude. C'est en ce sens notamment que *Sayyidu-nâ* Ibrâhîmu, qui est à l'origine même des rites du Pèlerinage, bénéficie du don de l'"argument" ou de la "preuve" : « Telle est Notre *Hujjah* que Nous avons donné à Ibrâhîm contre son peuple » annonce la Divinité.

Avec *Sayyidu-nâ* Muhammad r, le Patriarche est régulièrement celui contre qui "argumente" (*hâjja* : Coran ; 2, 258 etc.) le parti adverse mais qui est en mesure d'invalider cet argumentaire. Un indice de cette prérogative d'être une "preuve de Dieu" le concernant personnellement réside dans les lettres de son nom. On sait que son nom est curieusement l'objet de modifications formelles notables. D'Abram il devient par la suite Abraham dans la Torah et pour des raisons similaires, on constate également un changement de la graphie du nom Ibrâhîm dans le Coran : sur 69 occurrences de ce nom dans le Texte complet, il n'y a que dans les 14 premières, toutes incluses dans la sourate *Al-Baqarah*, que la lettre *yâʾ* produisant l'allongement du i de *hîm* n'apparaît, scripturairement, qu'en mode suscrit. Les substitutions usuelles

qui promettait à l'islam véritable de typifier la "Religion de l'Amour" (*Dîn al-Hubb*). L'on verra plus bas que ce qui est globalement célébré en ce fameux jour du *Mawlid* recouvre bien des aspects.

Les cinq mois suivants évoquent à leur tour très directement l'évolution progressive du végétal. En *Rabî' ath-thânî* la jeune pousse va connaître une deuxième phase de croissance et s'allonger. Au cours d'*al-Jumadayân*, les deux mois de *Jumadâ al-Ulâ* et de *Jumâdâ ath-thâniya* on assiste à une solidification de la tige. Une enveloppe vient la renforcer puis la rigidifier par ce qui fera finalement office d'écorce, la racine *jamada* exprimant les idées de "figer", "durcir", "épaissir", "geler" etc. Après ces deux étapes relatives à la formation d'un tronc s'ensuit la période de ramification. Celle-ci se produit durant *Ar-Rajabân*, "Les deux *Rajab*-s", également appelés *ash-Sha'bânân*, les deux *sha'bân*-s. Elle commence au mois de *Rajab* proprement dit dont le nom jouit d'une grande valeur polysémique et dont on retiendra pour notre propos les sens de "pousser ça et là en se séparant du tronc" et "le fait d'étañçonner une branche pour qu'elle supporte le poids des fruits à venir et ne risque pas ainsi de se séparer du tronc". Elle s'achève en *Sha'bân* dont le nom évoque d'une manière plus explicite encore la "division en branches". L'arbre constitué, il reste une étape à franchir qui ne concerne plus le domaine de la botanique mais prend par contre une signification importante dans le domaine initiatique.

Arrive à présent le mois de *Ramadân* qui est non seulement celui du jeûne mais encore celui de la Révélation, celui où la Parole divine s'est fait entendre. Pour mieux comprendre à quoi correspond le mois en question dans notre optique, il convient de se référer aux données coraniques relatives à la manifestation de la Parole divine et aux rapports qui peuvent être établis avec Moïse "l'Interlocuteur divin" (*Kalîmu-Llâh*) et Jésus le "Verbe divin" (*Kalîmatu-Llâh*). Il faut se souvenir que c'est en se rendant à un Arbre (le Buisson ardent de la *Torah*) pour chercher du feu que Moïse entend Dieu lui parler (cf. Coran ; 28, 29-30). Or, précisément l'arbre que nous venons de voir s'achever arrive en un temps promis à l'illumination sous l'apparence d'une combustion car le verbe *ramada* signifie "brûler" ou "embraser", et c'est donc bien en *Ramadân* que l'arbre est appelé à s'enflammer sous l'effet d'un amour devenu ardent. D'un autre côté, à l'instar de la Vierge Marie qui met au monde le "Verbe divin" et se consacre à un jeûne (cf. Coran ; 19, 26), c'est par le jeûne de *Ramadân* que s'achève la période de neuf mois d'une gestation. De virtuelle qu'elle était en *Rabî' al-awwal*, la seconde naissance passe alors à l'acte.

Le jour de "la petite Fête" (*al-'Îd as-saghîr*) actualise ainsi le jour effectif de la renaissance spirituelle. Il est aussi appelée *'Îd al-Fitr* non seulement parce qu'il célèbre la "rupture" du jeûne que les soufis mettent volontiers en relation avec la rupture des habitudes, mais aussi parce qu'il ramène l'être à son état natif originel nommé *fitrah*. Ayant réalisé ce retour à la nature pri-

son Seigneur, la Vierge Marie y est qualifiée de “belle plante” (*nabat hasan* : cf. Coran ; 3,37). En occident, la perfection du modèle marial, sous ce rapport, est indiquée par la substitution de la Vierge Marie à Cérès la déesse romaine de la végétation et de la culture céréalière dans le concert des constellations zodiacales. Les arabes eux-mêmes appellent cette constellation et son étoile principale “L’Épi” (*Sunbula*).

Ces considérations expliquent pourquoi, lors du rite de rattachement à une chaîne initiatique, le postulant qui est alors soumis à une “seconde naissance” virtuelle est désigné couramment par un mot signifiant littéralement une “nouvelle plante” : “néophyte”. En général d’ailleurs, ce rite de rattachement est effectué en référence au pacte d’allégeance que firent les musulmans au Prophète r et qui eut lieu précisément sous un arbre (cf. Coran ; 48, 18). C’est pour rappeler que cette “nouvelle plante” est appelée à s’épanouir et à devenir “arbre”. Pour pouvoir le devenir toutefois, il aura d’abord eu soin de préserver les potentialités de la graine semée en lui en ayant sécurisé le terrain dans lequel doit s’effectuer sa germination. On va découvrir maintenant que l’énumération chronologique des mois islamiques explicite tout le processus du développement spirituel d’un être par allusions aux conditions préalables et aux phases successives de la croissance d’un arbre.

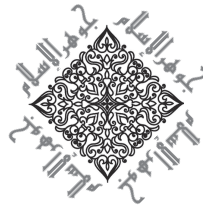
On sait que deux sortes d’ennemis sont à prendre en considération et réclament deux types de précautions : ceux qui viennent de l’extérieur et ceux qui résident à l’intérieur. Les deux premiers mois de l’année sont consacrés à se garantir contre ces deux dangers. Le premier est appelé *Muharram* parce que, comme son nom l’indique, on y rend inaccessible l’aire de culture aux événements prédateurs en la délimitant et en lui donnant le statut de “zone interdite” (*haram*). Le deuxième répond au nom de *Safar* qui exprime, quant à lui, l’idée de “vider” parce qu’on éradique cette fois mauvaises herbes et autres fléaux en tout genre au sein même du terrain choisi. Ces deux mois de nettoyage et de préparation sont parfois désignés comme *as-Safarân*, “les deux *Safar*-s”, car en auront été “évacués” les deux types d’agresseurs.

Un fois cette double opération menée à bien, la “nouvelle pousse” va alors pouvoir poindre et s’élever en deux temps appelés *ar-Rabî’ân*, les deux *Rabî’-s*, “les deux pousses” ou “les deux printemps”. Au troisième mois, *Rabî’ al-awwal*, apparaît la “première pousse” qui connaît alors son “prime time”. C’est en ce mois que la “Réalité muhammadienne” (*al-Haqîqa al-muhammadiyah*) se formalise et rentre objectivement dans le domaine de la manifestation. Dans la phase croissante du mois, à l’approche de la pleine lune, naquit *Sayyidu-nâ* Muhammad r. Il n’était, jusqu’alors, que cette “graine d’amour fondamentale” (*habbah*) semée au cœur de chaque homme et qui ne produit pleinement toutes ses potentialités que chez les Prophètes et les Saints. Son état de graine, à l’instar du Messie désigné comme “germe” dans de nombreux textes bibliques, devait être révélé par toutes les nuances de son nom *Al-Habîb*

Dans un monde authentiquement traditionnel tout est perçu de manière sacrée. Le temps n'échappe donc nullement à cette perspective et il réclame une observation scrupuleuse, ne serait-ce que pour des raisons de calendriers et d'horaires liées aux pratiques rituelles. A ce titre, la prière légale est dite « inscrite dans un temps déterminé (*kitâb mawqûr* : Coran ; 4, 103) ». Cependant, si tout est globalement sacré, il n'en reste pas moins que certains moments privilégiés du temps jouissent d'une sacralité plus particulière que d'autres. En ce sens, le Texte révélé attribue à des périodes choisies une valeur "explicitement" sacrée qui ne fait que renforcer ce caractère du temps en lui octroyant des prérogatives spécifiques. En affirmant notamment que « selon Allah, le nombre de mois est de douze conformément à la prescription divine » et que « quatre en sont "sacrés" (*hurum* : Coran ; 9, 36) », il est effectivement décerné à ces derniers un statut préférentiel qui sous-entend un surcroît de grâces. Ces quatre mois concernés sont *Rajab* qui est "isolé" (*fard*) et *Dhû-l-Qa'da*, *Dhû-l-Hijja* et *Muharram* "qui se suivent" (*sard*).

Dans le cycle annuel, qui est un cycle temporel parmi tant d'autres mais qui sert de référence majeure en tant que mesure appliquée au décompte d'une vie humaine, on relèvera que la notion de sacralité atteint une sorte d'apogée au terme de l'année. C'est en effet au douzième mois, celui de *Dhû-l-Hijja*, mois nommément consacré au Pèlerinage (*Hajj*) et qui fait partie des quatre mois sacrés signalés, que cette notion est affirmée lexicalement sous tous ses aspects. En effet, il est alors exigé de l'éventuel candidat engagé dans "la quête de la Maison (*Hajj al-Bayt*)" institutionnelle de se sacréaliser en pénétrant "le territoire sacré" (*al-Haram*) qui donne accès aux lieux saints. Le pèlerin n'accomplit ainsi sa divine quête que dans un temps sacré mais également un espace sacré qui implique un rite de sacralisation (*ihrâm*).

Tenant compte de la forme et du fond de ce Pèlerinage qui constitue le terme ultime des cinq piliers de l'Islam, les maîtres du *Tasawwuf* - entendons par là les véritables tenants de la Spiritualité islamique - déclinent les mois de l'"année" en fonction d'étapes jalonnant un cheminement initiatique en forme d'"anneau" défini par le parcours céleste des 12 signes du zodiaque. La science des noms qui caractérise Adam et, partant, tout homme ayant recouvré sa pure "nature primordiale" (*fitra*), inclut, en l'occurrence, une connaissance étymologique de leur version arabe. Une telle science permet à ces initiés d'établir une correspondance très étroite entre les mois lunaires et le développement harmonieux d'une plante. Des trois règnes qui composent la nature, ce n'est en effet ni le règne minéral ni le règne animal qui occasionnent la croissance mais bien le règne végétal comme l'enseignent les soufis. Pour cette raison le Coran fait état de cette assimilation de l'homme aux plantes : « Allah vous a fait croître, à partir de la terre, en tant que plante (*anbata-kum mina al-ard nabâtan* : Coran ; 71, 17) ». Par ailleurs, le même Texte informe que cette nature végétale a bénéficié d'un développement idéal et optimal en la personne de *Sayyidatu-nâ Maryam*. Comme mise en terre et cultivée par

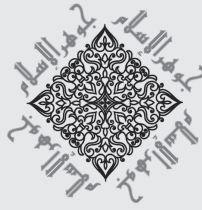


Mawlid an-Nabî : La Naissance du Prophète ﷺ

Par M. Valsan

Il y a deux façons de considérer l'heureux évènement que constitue la Naissance du Prophète r : la première relève d'un point de vue exotérique (*zhâhir*) et l'autre d'un point de vue ésotérique (*bâtin*). Suivant ce second point de vue la naissance en question peut être à nouveau envisagée selon deux modalités complémentaires en tenant compte de son implication ou non dans un cycle temporel.

En Islam comme en toute forme traditionnelle le temps est tout particulièrement qualifié, d'autant plus qualifié que sa désignation sous forme d'*ad-Dahr* est, d'après l'enseignement prophétique, un Nom divin. Sous ce Nom, avec lequel il est possible de faire correspondre celui tout aussi divin de *Chronos* en grec, c'est plus précisément la cyclicité temporelle qui est visée. Un hadith déclare que « celui qui fait le jeûne de Ramadan et le prolonge de six (jours) de *Shawwâl* est comme celui qui jeûne "continuellement" » ou littéralement "le cycle entier" (*ad-Dahr*) . On constate effectivement qu'un tel jeûne additionnant les 30 jours de la version longue du Ramadan aux six jours du mois suivant donne la somme de 36 jours, le même total évocateur de jours obtenu, avant l'institution légale du mois du jeûne, par le fait de jeûner régulièrement 3 jours consécutifs au début, au milieu ou à la fin de chaque mois de l'année. Ce nombre 36 a une valeur cyclique établie dont le cercle bien connu des "36 chandelles" offre une parfaite illustration. Il synthétise, en nombre entier le plus simple, son décuple 360 qui constitue depuis longtemps un nombre symbolique affecté aux degrés du cercle. Les bonnes œuvres auxquelles le rite du jeûne se rattache éminemment étant multipliées par 10 d'après une promesse divine, il en résulte que 36 jours équivalent à 360 jours, autrement dit à un cycle annuel complet. Ajoutons qu'espace et temps étant deux conditions solidaires de notre vécu, on relèvera que les nombres de jours des deux computs solaire et lunaire de l'année, respectivement et approximativement 365 et 354, approchent par excès et par défaut de cette évocation cyclique exprimée en mode numérique.



JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 1/2 - 25ème année

Rabi II - 1448/octobre 2026

SOMMAIRE

Mawlid an-Nabî : La Naissance du Prophète ﷺ

2

Par M. Valsan